ويتكون من: تمهيد ومبحثين :

التمهيد وفيه : تعريف الحلـول والاتحـاد ووحـدة الوجود ، لغة واصطلاحاً0

المبحث الأول : جهود علماء السلف في القــرن الثــامن الهجــري تجــاه الحلــول والاتحــاد ، عند الصوفية 0
المطلب الأول : الحلول والاتحـاد ،عند الصـوفية 0
المطلب الثاني : جهـود علماء السلف في القرن الثــامن الهجــري تجــاه الحلــول والاتحــاد ، عند الصوفية 0

المبحث الثاني : جهود علماء السلف في القــرن الثـــامن الهجـــري، تجـــاه وحـــدة الوجـــود ، عند الصوفية 0
المطلب الأول : وحدة الوجود ، عند الصوفية 0
المطلب الثاني : جهود علماء السلف في القـرن الثـــامن الهجـــري، تجـــاه وحـــدة الوجـــود ، عند الصوفية 0

التمهيد : تعريف الحلـــول والاتحـــاد ، ووحـــدة الوجود ، لغة واصطلاحاً0

أولاً : تعريف الحلول الاتحاد ، لغة واصطلاحاً 0

أ- تعريف الحلول لغة واصطلاحاً:

1- الحلول لغة : « حَـلَّ بالمكـان يَحُـلُّ حُلـولاً ومَحَلاً ، نزول القوم بمحلة، وهو نقيض الارتحال ، وحَلَّه واحْتَـلَّ به

واحتله نزل به ، والحَلُّ: الحلول والنزول ، وأحَلـهُّ المكـان وأحَلَّه به وحل به : جعله يحل به »[1]

فالحلول في اللغة : النزول بالمكان والحلول به0

2- الحلول اصطلاحاً:

« عبارة عن اتحاد الجسمين ، بحيث يكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر ، كحلـول مـاء الـورد بـالورد »[2] ، ويسمى هذا بالحلول السرياني 0

أما الحلول الجواري : فهو «عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر ، كحلول الماء في الكوز»[3]

وقـال شـيخ الإسـلام ، في تعريف الحلـول : «اللاهـوت حل في الناسـوت [4]، وتـدرع به كحلـول المـاء في الإناء »[5]

ومبدأ الحلول هو ثاني[6] المبادئ الصوفية ، ، وهو حلول العنصر الإلهي ، في العنصر البشري[7] 0

ب- تعريف الاتحاد لغة واصطلاحاً 0

1- الاتحاد لغة :

« اتحد : الشيئان أو الأشياء : صارت شـيئاً واحداً»[8]

2- الاتحاد اصطلاحاً :

« تصيير الذاتين واحدة »[9] 0

وقسم شيخ الإسلام ابن تيميه الاتحاد إلى قسمين، ثم عرفهما ، فقال : « الاتحاد الخاص: اللاهـوت حل في الناسوت ، واختلطا وامتزجا كاختلاط اللبن بالمـاء » 0

---

1 - المعجم الوسيط ، 1/ 194 ، مادة (حل) ، والقاموس المحيط ، ص 1274 ، مادة (حل) ، وانظر: لسان العرب ، 11/ 163 ، مادة (حل)

2 - التعريفات ، ص 98

3 - التعريفات ، ص 98 ، وانظر معجم المصطلحات الصوفية ، ص 77

4 - لاهوت : يقال «لله » سبحانه 0 كما يقال : ناسوت للإنسان 0 (معجم المنـاهي اللفظية ، ص469)

5 - الفتاوى ، 2/ 171

6 - المبدأ الأول عند الصوفية هو : الإشـراق ، وهو انبعاث نور غير محسوس إلى الـذهن تتم به المعرفة 0(الموسوعة العربية العالمية ،15/ 202)

7 - الموسوعة العربية العالمية ، 15 / 202

8 - العجم الوسيط ، 2/1016 ، (باب الواو)

9 - معجم المصطلحات الصوفية ، ص 38 ، وانظر معجم اصطلاحات الصوفية ، ص49

والاتحاد العام وهو قول ملاحدة الصوفية ؛ إن الباري تقدس ذكره : « عين وجود الكائنات »[1]

ثانياً : تعريف وحدة الوجود لغة واصطلاحاً 0

أ- وحدة الوجود لغة : « وحد : الـواو والحـاء والـدال ، أصل واحد ، يدل على انفراد ، ومن ذلك الوَحْـــدَة » [2]

ب - وحدة الوجود اصطلاحاً:

تقوم وحدة الوجود على: « أن الله في كل شيء ,وهو كل شيء»[3]

وخلاصة تعريف وحدة الوجود ، كما بينه شيخ الإسـلام ابن تيميه هو:«إن الله بذاته في كل مكان » [4]

ووحدة الوجود عند الصوفية تعني : « أن الله -تعالى وتقدس عما يقولون - والخلق واحد ، والحاكم والمحكوم شيء واحد ، وما التعـدد في الواقع إلا في شـكل الوجـود ,لا في ذات الموجود »[5]

ومدار وحدة الوجود أنه : « يوحد بين الله والعالم ، ولا يقر إلا بوجــــود واحد وهو الله 000وكل ما عـــــداه أعراض له »[6]0

---

[1] - الفتاوى ، 2/172

[2] - مقاييس اللغة ، ص 1084 ، باب (الواو)

[3] - قاموس المذاهب والأديان ، ص 141

[4] - الفتاوى ، 2/172

[5] - الموسوعة العربية العالمية ، 15/202، وانظر : دائرة معارف القـرن العشـرون ، محمد فريد وجدي ، (بيروت : دار الفكر) ، 10/678

[6] - الموسوعة العربية الميسرة ، (بيروت : دار نهضة لبنان ، 1980 م) ، 2/1945

المبحث الأول : الحلول والاتحـاد ، عند الصـوفية 0

المطلب الأول : الحلول والاتحاد عند الصوفية 0

يكمل الحلول والاتحاد ، ضلعي مثلث الإلحـاد - المكون من الحلول والاتحاد ووحدة الوجــود - ، في عقائد بعض الصوفية ، وبـالرغم من بُعد هـذا الاعتقـاد ، عن روح الإسلام وجوهره ، إلا أنه وجد قبـولاً عند بعض الصـوفية ، فاعتقدوه وروجوا له ، بالقول والاعتناق 0

فقد صرح الحلاج بإمكانية الحلول بقوله : « من هذب نفسه في الطاعة ، وصبر على اللذات والشـهوات ، ارتقى في مقام المقربين ثم لا يـزال يصـفو ويـرتقي في درجات المصافاة ، حتى يصفو عن البشرية ، فـإذا لم يبق فيه من البشـرية حظ ، حل فيه روح الإله ، الـذي حل في عيسى بن مريم، ولم يـرد حينئـذٍ شـيئاً إلا كـان كما أراد ، وكان جميع فعله فعل الله تعالى »[1]

وقال في ذلك شعراً :

سبحان من أظهرناسوته سر سنا لاهوته الثاقـب
ثم بدا لخلقه ظاهــراً في صورة الآكل الشـارب
حتى لقد عاينه خلقــه كلحظة الحاجب بالحاجب[2]

وقال كذلك :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحــان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصـــرته وإذا أبصرته أبصرتنـا[3]

ومن القائلين بالحلول والاتحاد ، من الصوفية أيضاً ، ابن الفارض[4]، وذلك في قصائده المشهـورة ، في ديوان شعره ، ومن أشهر قصائده التي صرح فيها بمذهبه هـذا ،

---

[1] -الفرق بين الفرق ، ص 263 ، وانظر : من قضايا التصوف ، د: محمد السيد الجليند ، ط3 ، (الرياض : دار اللواء ، 1410 هـ) ، ص 86

[2] - ديوان الحلاج ، ص 21 0 قال شيخ الإسلام ابن تيميه عن هذه الأبيـات « فهـذه قد بين بها الحلــول الخــاص - كما تقــول النصــارى في المســيح - وكــان أبو عبد الله ابن خفيف الشيرازي - قبل أن يطلع على حقيقة أمر الحلاج - يذب عنه ، فلما أنشد هذين البيتين قال : لعن الله من قال هذا» [الفتاوى ، 2/ 311]

[3] - ديوان الحلاج ، ص 55 ، وانظر : دراسات في التصوف - الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي - يوسف زيدان ، (بيروت : دار النهضة العربية ، 1408هـ) ، ص 162
قال شيح الإسلام ابن تيميه عن هذه الأبيات : « فهذا إنما أراد هذا الشاعر الاتحاد الوضعي ، كاتحاد المتحابين بالآخر ، الذي يحب أحـدهما ما يحب الآخر ، ويبغض ما يبغض ، ويقـول مثل ما يقــول ، ويفعل مثل ما يفعل ؛ وهو تشــابه وتماثل ، لا اتحــاد العين بــالعين ، إذ كــان قد استغرق في محبوبه حتى فني به عن رؤية نفسه ، كقول الآخر :
غبت بك عنـــــي فظننت أنك أنـــــي
فإما أن يكون غالطاً مستغرقاً بالفناء ، أو يكون عـنى التماثل والتشـابه ، واتحـاد المطلـوب والمرهوب ، لا الاتحـاد الـذاتي ، فـإن أراد الاتحـاد الـذاتي - مع عقله لما يقـول - فهو كـاذب مفتر ، مستحق لعقوبة المفترين » [الفتاوى ، 2/ 377]

قصيدته التائية الكبرى المسماة « نظم السلوك »، فقد بيّن فيها بعبارات واضحة - لا لبس ولا غموض فيها - فكرته التي منها استمد هذا المذهب [1]

ومنها قوله :

لها صلواتي بالمقام أُقيمها وأشهد فيها أنها لي صلت
كلانا مصل واحد ساجد إلى حقيقته بالجمع في كل سجدة
وما كان لي صلى سواي ولم تكن صلاتي لغيري في أداء كل ركعة[2]

وكذلك قال أبو المواهب الشاذلي : « ظهور تجلي الحقيقة الإلهية، للحقيقة الإنسانية محا منها ثانوية الناسوت ، وأثبت فردانية اللاهوت »[3]

وذكر الغزالي قول الشاعر :

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولاخمر[4]

فقال : « هذا مقام من مقامات علوم المكاشفة ، منه نشأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد ، وقال أنا الحق ، وحوله يدندن كلام النصارى في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت ، أو تدرعها بها ، أو حلولها فيها»[5]

وكشف السهروردي أن : « من جملة أولئك - المنتسبين إلى التصوف- قوم يقولون بالحلول ، ويزعمون أن الله تعالي يحل في أجسام يصطفيها »[6]

وقال ابن الفارض مبيناً عقيدته في الاتحاد :

وقد آن لي تفصيل ما قلت مجملاً

---

4 - أبو حفص ، وأبو القاسم عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي (576-632هـ) الصوفي المصري الأول بلا منازع ، ورأس شعراء الصوفية من العرب 0(الموسوعة الصوفية ، ص 311) 0

1 - موقف الإمام ابن تيميه من التصوف والصوفية ، ص 171

2 - ديوان ابن الفارض ، ط1، (بيروت : المطبعة الأدبية ، 1904م) ص 77

3 - قوانين حكم الإشراق ، جمال الدين محمد أبي المواهب الشاذلي ، ط1 (القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ، 1961م) ، ص 16

4 - نسب شيخ الإسلام ابن تيميه ، هذين البيتين لأبي نواس ، [مجموعة الرسائل والمسائل ، ط2 ، بيروت : دار الكتب العلمية 1412هـ ، 1/ 75]

5 - الإحياء 2/ 317

6 - عوارف المعارف ص 78 ، وقد رد عليهم وبين بطلان مذهبهم ، ومثله فعل الهجويري فقال : « وأما الحلولية لعنهم الله فهم من الطائفتين المطرودتين اللتين تنتميان إلى هذه الطائفة » كشف المحجوب ص 501 ، وانظر : روضة التعريف بالحب الشريف ، لذي الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب ،عارضة بأصوله ، وعلق حواشيه وقدم له : محمد الكتاني ، ط1 ، (بيروت : 1970م) ، 1/216

وإجمال ما فصلت بسطاً لبسطتي
أفاد اتحادي حبها لاتحادنـــا
نوادر عن عاد المحبين شذت[1]

وهاأنا أبدي في اتحادي مبــدئي
وأنهي انتهائي في تواضع رفعتي
جلت في تجليها الوجود بناظري
ففي كل مرئي أراها بصورة[2]
فقد رفعت تاء المخاطب بيننـا
وفي رفعها عن فرقة الفرق رفعتي
فإن لم يجوز رؤية اثنين واحداً
حجاك ولم يثبت لبعــد تثبت[3]
وكذاك بحكم الاتحاد بحسنـها
كما لي بدت في غيرها وتزيت
بدوت لها في كل صـب متيم
بأي بديع حســنه وبأيـة[4]

هذه عقيدة القول بالحلول ، والاتحاد ، عند الصوفية ، اعتقدوها، وقالوا بها، شعراً ، ونثراً 0

المطلب الثــاني : جهــود علمــاء الســلف ، في القرن الثامن الهجـري، تجـاه الحلـول ، والاتحـاد ،عند الصوفية 0

فند علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، زعم بعض منحـــرفي الصـــوفية ، وقـــولهم الباطل ، بإمكانية الحلــول بين الخــالق - ســبحانه - والمخلــوق ؛ لأن ذلك يتنافى مع أسس وقواعد الـدين الإسـلامي ،الــذي ينطلق من مســــلمة تتفق مع الفطــــرة والعقل ؛ وهي التنزيه المطلق للخالق سبحانه عن مماثلة أو مشـابهة مخلوقاته ،أو الحلــول بها ، وتســتند مواقف الســلف إلى نصــوص القرآن الكريم ، والسنة الشريفة 0

---
[1] - ديوان ابن الفارض ، ص 78
[2] - ديوان ابن الفارض ، ص 82
[3] - ديوان ابن الفارض ، ص 83
[4] - ديوان ابن الفارض ، ص 87

فقد نقل ابن أبي العز قول طائفة من السلف في الرد على هذه البدعة فقال : « قالت طائفة من السلف : من انحــرف من العلمــاء ففيه شــبهة من اليهــود ، ومن انحرف من العبّـاد ففيه شـبهه من النصـارى ، 000وأكـثر المنحرفين من العبّاد من المتصوفة ونحوهم ، فيهم شبهة من النصــارى ؛ ولهــذا يميلــون إلى نــوع من الرهبانية والحلول والاتحاد»[1]0

وقد أشار الشاطبي ، إلى أن العلماء ، يكفرون من يكون مذهبه مذهب الحلولية ، فقال : « وقد حكم العلماء بكفر جملة منهم ، كالباطنية وسواهم ؛ لأن مـذهبهم راجع إلى مـذهب الحلولية ، القـائلين بما يشـبه قـول النصـارى في اللاهوت والناسوت»[2]

كما قال :« تكفير ما دل الدليل على كفره ، كما إذا كـــانت البدعة صـــريحة في الكفر ،كالإباحية والقـــائلين بالحلول » [3]

وبيّن ابن رجب أن سبب هذه البدعة وغيرها ، هو الإحـداث في الـدين ، فقـال :« وقد اتسع الخـرق في هذا الباب - أي باب إحداث العلوم في الـدين - ودخل فيه قــوم إلى أنــواع من الزندقة 000وإلى دعــوى الحلــول 000وغير ذلك من أصول الكفر »[4]

وقد حظيت جهود علماء السلف ، في القرن الثامن الهجــري،في بيــان بطلان هــذه البدعة ، والتصــدي لها ، بالإشــادة والثنــاء ، ممن كــانوا منتســبين إلى التصــوف ، فهـــداهم الله إلى العـــدول عنه ، فقد قـــال ابن شـــيخ الحزاميين [5]: « وأنتم - يقصد أصحاب شـيخ الإسـلام ابن

---

[1] - شرح العقيدة الطحاوية ، ص 801 وانظر : ص 25

[2] - الاعتصام ، 1/ 103

[3] -الاعتصام ، 1/ 141 ، وانظر : 1/ 134

[4] -فضل علم السـلف ، ص 44-45، وانظـر: استنشـاق نسـيم الإنس من نفحـات ريـاض القدس، ابن رجب الحنبلي ، حققه وخرج نصوصه ، د: أحمد عبد الرحمن الشريف ، ط1 ، (بيروت : المكتب الإسلامي ، الرياض : دار الخاني ، 1411هـ) ، ص 21 ، وتفسـير سـورة الإخلاص ابن رجب الحنبلي ، تحقيق : محمد بن ناصر العجمي ، ط2، (الريـــاض : دار الصميعي للنشر والتوزيع ، 1412هـ) ، ص 47،51

[5] - الشيخ الإمام القدوة الزاهد العارف ، عمـاد الـدين أبو العبـاس أحمد بن إبـراهيم بن عبد الرحمن الواسطي ، المعروف بابن شيخ الحزاميين ، كان رجلاً صالحاً ورعـاً ، كبـير الشـأن منقطعاً إلى الله ، متـوفراً على العبـادة والسـلوك 0 ولد في حـادي عشر - أو ثـاني عشر - ذي الحجة سـنة 657 هــ ، بشـرق واسط ، كـان أبـوه شـيخ الطائفة الأحمدية ، نشأ الشـيخ عماد الـدين بينهم ، وألهمه الله من صـغره طلب الحق ومحبته ، والنفـور من البـدع وأهلها ، قدم إلى دمشق فرأى الشـيخ تقي الـدين ابن تيميه ، وصـاحبه ، فدله على مطالعة السـيرة النبوبة ، وأقبل على مطالعة كتب الحديث والسنة والآثار ، وتخلى عن جميع طرائقه وأحواله وأذواقه وسلوكه ، واقتفى آثار الرسول -- وهديه ، وشرع في الـرد على طوائف المبتدعة ،

تيميه - في مقابلة ما أحدثه الزنادقة من الفقراء والصوفية ، من قولهم بالحلول والاتحاد وتأله المخلوقات ، 000فكل هؤلاء بدلوا دين الله تعالى ، وأعرضوا عن شريعة رسول الله - ﷺ - »[1]

وأما المحور الثاني الذي سلكه ، علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، فهو الرد على الأشخاص الذين انتحلوا هذا المذهب ، وارتضوا هذا المنهج ، وقد استأثر الحلاج بالنصيب الوافر ، من ردود علماء السلف في القرن الثامن الهجري 0

قال ابن كثير في ترجمة الحلاج مبيناً موقفه ومنهجه من أقواله : «ونحن نعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يكن قاله ، أو نتحمل عليه في أقواله وأفعاله »[2]

ثم قال : « ومما يدل على أنه كان ذا حلول في بدء أمره ، أشياء كثيرة ، منها شعره في ذلك ، فمن ذلك قوله :

جبلت روحك في روحي كما يجبل العنبر بالمسك الفتق[3]
فإذا مسك شيء مسني وإذا أنت أنا لا نفترق [4]

وقوله :

مزجت روحك في روحي كما تمزج الخمرة بالماء الزلال
فإذا مسك شيء مسني فإذا أنت أنا في كل حال[5]

ثم بيّن ابن كثير أن الحلاج أخطأ ، حين لم يتبع التنزيل ، ولم يخاف من التحويل ، وقد زل وضل ، واتبع البدعة بسبب ذلك[6]

الذين خالطهم وعرفهم من الاتحادية وغيرهم ، وبين عوراتهم ، وكشف أستارهم ، وانتقل إلى مذهب الإمام أحمد ، وكان الشيخ تقي الدين ابن تيميه يعظمه ويجله ، صنف أجزاء عديدة في السلوك والسير إلى الله تعالى ، وفي الرد على الاتحادية، والمبتدعة ، وكان داعية إلى السنة ومذهبه مذهب السلف الصالح ، ومن تصانيفه : شرح منازل السائرين ، ولم يتمه ، وله نظم حسن ، توفي - رحمه الله - آخر نهار السبت سادس عشر ربيع الآخر سنة 711 هـ ، بدمشق 0(العقود الدرية ، ص 290،والذيل على طبقات الحنابلة ، 4/ 358-360)

[1] - التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار دفاعاً عن ابن تيمية ، تصنيف عماد الدين أحمد بن إبراهيم الواسطي المعروف بـ "ابن الشيخ الحزاميين " ، تقديم وتحقيق وتعليق علي حسن علي المجيد ، ط1 ، (الأحساء : مكتبة ابن الجوزي ، 1408هـ) ، ص 34

[2] - البداية والنهاية ، 11/ 158

[3] - جاءت بالبداية والنهاية « الفنق » وبديوان الحلاج « الفتق» 0 وفتق المسك خلط به ما يُذْكِيهِ0 (المعجم الوسيط ، ص 672 ، باب الفاء) 0

[4] - البداية والنهاية ، 1/ 159، وانظر ديوان الحلاج ، ص 50

[5] - ديوان الحلاج ، ص 47

[6] -البداية والنهاية ، 11/ 161

وقد ذكر الذهبي في ترجمة الحلاج ، أن الصوفية قد تــبرءوا منه ، فقــال : « وتــبرأ منه ســائر الصــوفية [1] والمشايخ والعلماء لما سترى من سـوء سـيرته ومروقه ، ومنهم من نســبه إلى الحلــول ، ومنهم من نســبة إلى الزندقة 000وقد تســـــتر به طائفة من ذوي الضـــــلال والانحلال ، وانتحلوه وروجوا به على الجهـال ، نسـأل الله العصمة في الدين »[2]

وعلق على قول الحلاج: « وأبرأ إليك مما وحدك به الموحدون »
قال: « هـذا عين الزندقة ، فإنه من تـبرأ مما وحد الله به الموحدون ، الذين هم الصـحابة والتـابعون وسـائر الأمة ، فهل وحــدوه تعــالى إلا بكلمة الإخلاص ، 000فــإذا بــرئ الصـوفي منهـا، فهو ملعـون زنـديق ، وهو صـوفي الـزي الظاهر ، متستر بالنسب إلى العارفين ، وفي الباطن فهو من صوفية الفلاسفة أعداء الرسل »[3]

وذكر الذهبي أبيات الحلاج :

سبحان من أظهر ناسوته سرَّ سـنا لا هوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهـراً في صورة الأكل الشـارب
حتى لقد عاينه خلقـه كلحظـة الحاجب بالحاجب

ثم نقل قول ابن خفيف[4] فيها ونصه : « على قائل ذا لعنة الله0 قال: هذا شعر الحسين الحلاج 0 قـال: إن كان هذا اعتقاده فهو كافر »[5]

ونقل قول الفقيه أبي علي بن البناء[6] في الحلاج : «كان الحلاج قد ادّعى أنه إله ، وأنه يقول بحلول اللاهوت في الناسوت »[7]

وقد دفع الذهبي الشبهة ، التي درج بعض أتباع الحلاج على ترويجها ،وهي أنه قد تـــاب عند قتله ، ورجع عن معتقده وعن ما كان يقوله ، فقال: « 000فإن الحلاج عند قتله مــازال يوحد ويصــيح : الله الله في دمي ، فأنا

---

1 - انظر : كشف المحجوب ص 362
2 -السير ، 14/ 314 ، وانظر : 14/ 318
3 - السير ، 14/ 342- 343
4 - محمد بن خفيف بن إسفكشـاد الضـبي ، المقيم بشـيراز ، كـانت أمه نيسـابورية ، وكـان شـيخ المشـايخ في وقته ، صحب رويمـاً والجريـري ، وأبو العبـاس بن عطـاء ، مـات سـنة 371هـ ، [طبقات الصوفية ، ص 462]
5 -السير ، 14/ 325
6 - الحسين بن أحمد بن عبد الله 0(السير ، 24/519)
7 - السير ، 14 / 327

على الإسلام ، وتبرأ مما سوى الإسلام ، والزنـديق فيوحد الله علانية ولكن الزندقة في سـره ، والمنـافقون فقد كـانوا يوحـدون ويصـلون علانية ، والنفـاق في قلـوبهم ، والحلاج فما كـان حمـاراً حـتى يظهر الزندقة ،بـازاء ابن خفيف وأمثاله ، بل كـان يبـوح بـذلك لمن اسـتوثق من رباطـه، ويمكن أن يكون تزندق في وقت ، ومـرق وادعى الإلهيـة، وعمل السـحر والمخـاريق الباطلة ، مـدة ثم لما نزل به البلاء ورأى الموت الأحمـر أسـلم ورجع إلى الحق ، والله أعلم بسـره ، ولكن مقالته نـبرأ إلى الله عنها ، فإنها محض كفر ، نسـأل الله العفو والعافية ، فإنه يعتقد حلول الباري -عز وجل - في بعض الأشـراف ، تعـالى الله عن ذلك »[1] 0

ولم يقتصر رد علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري، على الحلاج ومزاعمه الباطلة ، بل ردوا على كل من يدعي مذهبه ، ويقول مقالته0

فقد بيّن ابن كثير حال ثلاثة ، من أصحاب الحلـول من الصـوفية ، فـذكر في ترجمة العفيف التلمسـاني[2] ما يـبين عقيدته بقوله : « وقد نسب هـذا الرجل ، إلى عظائم في الأقـوال والاعتقـاد ، في الحلـول والاتحاد والزندقة ، والكفر المحض »[3]

وقال في ترجمة الحريري [4]: « كان أديباً فاضلاً في صـناعة الشـعر ، بارعـاً في النظم ، ولكن في كلامه ونظمه مايشـير إلى نـوع الحلـول والاتحـاد ، على طريقة ابن عربي وابن الفارض »[5]

وقال في ترجمة أبي العباس بن عطاء[6] أحد أئمة الصوفية : «كان مـوافقاً للحلاج ، في بعض اعتقـاده

---

[1] -السير ، 14/ 351

[2] - أبو الربيع سـليمان بن علي بن عبد الله ياسـين العفيف التلمسـاني ،، تلميذ القونـوي ، أثنى عليه ابن سبعين وفضله على شيخه القونـوي ، وقد نسب هـذا الرجل إلى عظـائم في الأقـوال والاعتقـاد ، في الحلـول والاتحـاد والزندقة والكفر المحض ، مـات سـنة 675 وقيل 690 هـ 0 [البداية والنهاية ، 13/375 ، والكواكب الدرية 2/89]

[3] - البداية والنهاية ، 13/ 375

[4] - محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر بن إسـرائيل الشـيباني الدمشـقي ، ولد في يـوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول سـنة ثلاث وسـتمائة ، وصـحب الشـيخ علي بن أبي الحسن بن منصـور اليسـري الحريـري ، مـات بدمشق ليلة الأحد الرابع عشر من ربيع الآخر من سـنة 677هـ 0 [البداية والنهاية ، 13/ 327]

[5] - البداية والنهاية ، 13 / 328

[6] - أبو العبـاس أحمد بن محمد بن سـهل بن عطـاء الأدمي ، من ظرفـاء مشـايخ الصـوفية ، وعلمائهم صحب الجنيد ، مات سنة 309 وقيل 311هـ 0(طبقات الصوفية ، ص 265)

على ضلال »0 ثم قال: «وهذا الرجل ممن كان اشتبه عليه أمر الحلاج وأظهر موافقته »[1]

وقد كان أوسع علماء السلف في القرن الثامن الهجري رداً على الصوفية وبيان فساد عقيدتهم ومقالتهم في الحلول شيخ الإسلام ابن تيمية، فقد رد عليهم وبين فساد نحلتهم 0

فقال : « الحلول المطلق وهو أن الله تعالى بذاته حال في كل شيء ، فهذا تحكيه أهل السنة والسلف ، عن قدماء الجهمية[2] ، وكانوا يكفرونهم بذلك 0

وأما ما جاء به هؤلاء من الاتحاد العام ، فما علمت أحداً سبقهم إليه ؛ إلا من أنكر وجود الصانع »[3]

وقسم شيخ الإسلام الحلول إلى قسمين فقال : « الأول : وهو الحلول الخاص ، وهو قول النسطورية من النصارى ونحوهم ، ممن يقولون إن اللاهوت حل في الناسوت وتدرع به كحلول الماء في الإناء 000وهذا قول من وافق النصارى من غالية هذه الأمة 000وغالية النساك الذين يقولون بالحلول في الأولياء ومن يعتقدون فيه الولاية ، أو في بعضهم : كالحلاج 000ونحو ذلك »

والثاني : «الحلول العام : وهو القول الذي ذكره أئمة أهل السنة والحديث، عن طائفة الجهمية المتقدمين ، وهو قول غالب متعبدة الجهمية ؛ الذين يقولون : إن الله بذاته في كل مكان »[4]

تعالى الله عما يقوله الظالمون الجاحدون علواً كبيراً0

ثم بيّن شيخ الإسلام أن : « هؤلاء موهوا على السالكين التوحيد ، الذي أنزل الله تعالى به الكتب ، وبعثت به الرسل»[5]0

وقد قرن علماء السلف الرد على الاتحاد عند الصوفية ، بردهم على بدعة الحلول ووحدة الوجود ، فلا يكاد يخلو رد من ردود السلف على الحلول ووحدة

---

[1] - البداية والنهاية ، 11/ 171

[2]- الجهمية : «أصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة ، ظهرت بدعته بترمذ ، وقتله سلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية ، وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية ، وزاد عليهم بأشياء منها قوله : لا يجوز أن نصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه ؛ لأن ذلك يقضي إلى التشبيه ، فنفى كونه حياً عالماً، وأثبت كونه قادراً فاعلاً 000ومنها إثبات علوماً حادثة للباري تعالى000 » (الملل والنحل ، ص 86)

[3] - مجموعة الرسائل والمسائل 2/179-180

[4] - الفتاوى ، 2/171-176 وانظر: مجموعة الرسائل والمسائل 2/179

[5] - مجموعة الرسائل والسائل 2/178

الوجود ، عند الصوفية ، إلا وأضافوا إليهما الاتحـاد؛ لأنه لا يقل عنهما ضلالاً وانحرافاً 0

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « الاتحاد الخاص: وهو قـول يعقوبية النصـارى وهم أخبث قـولاً ، وهم السـودان والقبط ، يقولون : إن اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا ، كـاختلاط اللبن والمـاء ،وهو قـول من وافق هـؤلاء من غالية المنتسبين إلى الإسلام 0

والاتحاد العام : وهو قـول هـؤلاء الملاحـدة - ابن عـربي ، والـرومي ، والتلمسـاني - الـذين يزعمـون أنه عين وجـود الكائنات ، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى من وجهين : من جهة أن أولئك قالوا إن الـرب يتحد بعبـده الـذي قربه واصطفاه ، بعد أن لم يكونا متحدين ، وهؤلاء يقولون : ما زال الرب هو العبد وغيره من المخلوقـات ليس هو غـيره 0

والثـــاني : من جهة أن أولئك خصـــوا ذلك بمن عظمـــوه كالمســـيح ، وهـــؤلاء جعلـــوا ذلك ســـارياً في الكلاب ، والخنـازير ، والأقـذار ، والأوسـاخ - تعـالى الله عما يقوله الضالون علواً كبيراً -0

كذلك هؤلاء الملاحدة الاتحادية ضلال ، أكـثرهم لا يعقلـون قـــول رؤوســهم ولا يفقهونه ، وهم في ذلك كالنصـــارى ، كلما كـــان الشـــيخ أحمق وأجهل ، كـــان بالله أعـــرف ، وعندهم أعظم »[1] 0

ووصف الإمام الذهبي ، ابن الفارض :أنه « شيخ الاتحادية » وقال : « وديوان شعره مشهور وهو في غاية الحسن واللطافة والبراعة والبلاغة ، لـــــولا ما شـــــابه بالتصريح بالاتحاد الملعون ، في ألذ عبارة ، وأرق استعارة ، كفالوذج سمنه سم الأفاعي »[2]

وقال الذهبي معلقاً على قول ابن نقطة في ابن عـــربي : «وله كلام وشـــعر ، غـــير أنه لايعجبـــني ، قلت - القائل الذهبي - كأنه يشير إلى ما في شعره من الاتحاد ، وذكر الخمر والكنائس والمِلاح »[3]

وقال ابن كثير عن ابن الفارض : « ابن الفارض : نـــــاظم التائية في الســـــلوك على طريقة المتصـــــوفة

---

[1] - الفتاوى ، 2/ 172-173 ، وانظر : مجموعة الرسائل والمسائل ، 1/ 80 – 85 ، مدارج السالكين ، 1/289

[2] - تاريخ الإسلام - ط64 – ، ص 93-94 ، 353، وانظر : السير ، 14/73-74 ، 18/510 ، 22/368 ، وتاريخ الإسلام - ط 62- ، ص 425

[3] - ذيل تاريخ الإسلام - ط64- ، ص 353

المنسـوبين إلى الاتحـاد 000وقد تكلم فيه غـير واحد من مشايخنا بسبب قصيدته المشار إليها »[1]

وقـال أيضـاً في البسـطامي : « وقد حكي عنه شطحات ناقصات ، وقد تأولها كثير من الفقهاء والصوفية ، وحملوها على محامل بعيدة ، وقد قال بعضهم : إنه قال ذلك في حال الاصطلام والغيبة 0

ومن العلماء من بدَّعة وخطّاه ، وجعل ذلك من أكبر البدع، وأنها تدل على اعتقاد فاسد ، كامن في القلب ظهر في أوقاته »[2] 0

وقال ابن رجب عن أشعار بعض الصوفية : « وإن ذكر في شــيء من الأغــاني التوحيد ، فغالبه من يســوق ظاهره إلى الإلحاد : من الحلول والاتحاد »[3] 0

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية واصفاً مذهب الاتحاديـة، ومبينـاً ما فيه من الفسـاد : « مـذهب هـؤلاء الاتحادية ؛ كـابن عـربي ، وابن سـبعين[4] ، والقونـوي[5] ، والتلمســاني ، مــركب من ثلاث مــواد : ســلب الجهمية وتعطيلهم[6]، ومجملات الصـــوفية: وهو ما يوجد في كلام بعضــهم من الكلمــات المجملة المتشــابهة ، كما ضــلت النصــارى بمثل ذلك فيما يروونه عن المســيح ، فيتبعــون المتشابه ويتركون المحكم ، وأيضاً كلمات المغلوبين على عقلهم ، الـذين تكلمـوا في حـال سـكر، ومن الزندقة و[7] الفلسـفة[8] التي هي أصل التجهم ، وكلامهم في الوجــود

[1] - البداية والنهاية ، 13/268
[2] - البداية والنهاية ، 11/42
[3]- نزهة الأسماع ، ص 88
[4] - أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد المقدسي الرقوطي ، نسبة إلى رقـوط : بلـدة قريبة من مرسية ، ولد سنة 614 ، اشتغل بعلم الأوائل ، والفلسـفة ، فتلـود من ذلك نـوع من الإلحاد ، وصنف فيه ، توفي في الثـامن والعشـرين من شـوال سـنة 669بمكة المكرمة 0(البداية والنهاية ، 13/303)
[5] - صـدر الـدين محمد بن إسـحاق القونـوي ، نسـبة إلى قونية من تركيا ، وفيها ولد وتـوفي سنة 672 هـ ، وكان من كبار تلاميذ ابن عربي ، وتزوج أبن عـربي أمه وربـاه 0(الموسـوعة الصوفية ، 332) 0
[6] - لنفيهم الأســماء والصــفات عن الله ســبحانه ؛ ولأنهم يقولــون : «إن الله - تعــالى عما يقولون - لا شيء ، وما من شيء ، ولا يقع عليه صـفه شـيء ، ولا معرفة شـيء ، ولا تـوهم شيء ، ولا يعرفون الله فيما زعموا إلا بـالتخمين ، فوقّعـوا عليه اسم الألوهية ، ولا يصـفونه بصفة يقع عليه الألوهية 000 ومنهم صنف زعموا : أن الله شـيء وليس كالأشـياء ، ولا يقع عليه صـفة ، ولا معرفة ولا تـوهم ولا نـور ولا سـمع ولا بصر ولا كلام ولا تكلم ، وأن القـرآن مخلـوق ، وأنه لم يكلم موسى - عليه السـلام - 000»ـ 0 [التنبيه والـرد على أهل الأهـواء والبـدع ، تصـنيف أبي الحسـين محمد بن أحمد بن عبد الـرحمن الملطي ، تحقيق وتعليق : يمـان سـعد الـدين الميـاديني ، ط1، الـدمام : الناشر رمـادي للنشر ، والمـؤتمن للتوزيع ، 1414هـ ، ص 110-111]
[7]- جاءت في المطبوع ، دون حرف الواو ، والمعنى لا يستقيم إلا بإضافته0
[8] - يرى الغزالي أن الفلاسفة يكفرون في ثلاث مسائل : « أولها قولهم : بقدم العـالم ، وأن الجـواهر كلها قديمة 0 والثانية قـولهم : إن الله تعـالى لا يحيط علمـاً بالجزئيـات الحادثة 0

المطلق والعقـول والنفـوس والـوحي والنبـوة والوجـوب والإمكـان ، وما في ذلك من حق وباطل ، فهـذه المـادة أغلب على ابن سـبعين والقونـوي ، والثانية - مجملات الصوفية - أغلب على ابن عـربي ، ولهـذا هو أقـربهم إلى الإسـلام ، والكل مشـتركون في التجهم ، والتلمسـاني أعظمهم تحقيقاً لهذه الزندقة والاتحاد التي انفـردوا بها ، وأكفرهم بالله وكتبه ورسله وشرائعه واليوم الآخـر»[1] 0

وقال ابن الشيخ الحزاميين ، في رسالته التي وجهها إلى تلاميذ وأتبـاع شـيخ الإسـلام ابن تيمية ، مثنيـاً على جهود الشيخ وجهودهم في التصدي لأهل البدع والضـلال ، ومنهم الاتحاديـة: « وكـذلك الاتحادية يجعلـون الوجـود مَظْهَراً للحق ، باعتبار أن لا متحرك في الكون سواه ، ولا نـاطق في الأشـخاص غـيره ، وفيهم من لا يفـرق بين الظـاهر والمظهر ، فيجعل الأمر كمـوج البحر ، فلا يفـرق بين عين الموجة ، وبين عين البحر ، حتى أن أحده يتـوهم أنه الله - تعـالى الله عما يقولـون علـواً كبـيراً - فينطق على لسانه ، ثم يفعل ما أراد من الفـواحش والمعاصي ؛ لأنه يعتقد ارتفـاع الثنوية[2] ، فمن العابد ومن المعبـود ؟ صـار الكل واحـداً ؟ اجتمعنا بهـذا الصـنف في الربط والزوايا »[3] ، مما يـبين أن الأمر منتشر بين الصـوفية ، وليس مقتصراً على أشخاص معدودين0

وقال الذهبي في ترجمة ابن الفارض : « عمر بن علي المعروف بابن الفـارض 000 ينعق بالاتحـاد الصـريح في شعره، وهذه بلية عظيمة فتـدبر نظمه ولا تسـتعجل ، ولكنك حسن الظن بالصـوفية 0 وما ثم إلا زي الصـوفية وإشارات مجملة ، وتحت الزي والعبارات فلسفة وأفـاعي ، فقد نصحتك 0 والله الموعد»[4]

وأضاف ابن كثير القول : « ابن الفارض : نـاظم التائية في السـلوك، على طريقة المتصـوفة المنسـوبين

والثالثة : إنكارهم بعث الأجساد وحشرها 0 [تهافت الفلاسفة ، للغزالي ، قـرأه وعلق عليه : محمود بيجو ، ط1 ، سوريا : دمشق ، دار الألباب ، 1419هـ ، ص 22، 125، 193]

[1] - مجموعة الرسائل ، 4/31

[2] - لأنه لا خالق ولا مخلوق عنـدهم ، فـيزعمون أن الخـالق هو عين المخلـوق ، والمخلـوق عين الخالق ، تقدس الله وتنزه عما يقوله الظالمون 0

[3] - التذكرة ، ص 35

[4] - مـيزان الاعتـدال في نقد الرجـال للإمـام الـذهبي ، دراسة وتحقيق وتعليق الشـيخ : علي محمد معوض ، والشيخ عادل أحمد ، ط1 ، (مكة المكرمة : دار المنار، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1416هـ) ، 5/259

إلى الاتحــاد 000وقد تكلم فيه غــير واحد من مشــايخنا، بسـبب قصـيدته المشـار إليها ، وقد ذكـره شـيخنا أبو عبد الله الـــذهبي ، في ميزانه وحط عليه »[1] ، كما جـــاء في قول الإمام الذهبي أعلاه 0

المبحث الثاني: جهود علماء السـلف في القـرن الثامن الهجري تجاه وحدة الوجـود عند الصـوفية 0

المطلب الأول : وحدة الوجود عند الصوفية 0

وحدة الوجود هي الصورة الكاملة ، لطريق الإلحاد الذي بـدأه - بعض - الصـوفية بالفنـاء ، والحلـول ، مـروراً بالاتحاد، فوحدة الوجـود ، الـتي لم تنضج وتظهر بشـكلها الكامل ، إلا على يد ابن عـــــربي الــــذي يعد المؤسس الحقيقي لهذا المذهب[2] 0

وتعد وحدة الوجود ، تولد طبيعي للفناء ، والحلول والاتحــاد ، الــتي قــال بها بعض الصــوفية ، وذلك ؛ لأن الــذات الإلهية إذا كــانت تقبل - بــزعمهم - الحلــول في أجساد طائفة من الخلق، أو الاتحاد معها ، أو الفنــاء بها ، فلا يوجد - بـــزعمهم - ما يمنع أن يصـــبح هـــذا الحلـــول والاتحاد عاماً ، يشمل جميع المخلوقـات ، بحيث لا يكـون في الكـون شـيء إلا الله [3] ، تعـالى الله عن ذلك علـواً كبيراً 0

ووحـدة الوجـود قـامت على أسـاس فكـرتين ، خارجتين على العقيدة الإسلامية ، وهما الحلـول والاتحـاد،

---

[1] - البداية والنهاية ، 13/268

[2] - انظـر: مـدارج السـالكين ، 1/ 289 ، و مـدخل إلى التصـوف ، د: أبو الوفا الغـنيمي التفتازاني ، ط3(القاهرة : دار الثقافة للنشر ، 1983م) ، ص 201

[3] - نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام إعداد سارة بنت عبد المحسن آل سعود ، ط1 ، (جدة : دار المنار للنشر والتوزيع ، 1411هـ) ، ص 39

أي اتحـاد الإنسـان بالله ، والحلـول الـذي يعـبر عن تأليه الإنسـان ، وحلـول اللاهـوت في الناسـوت ، فالاتحـاد هو تشبيه الخـالق بـالمخلوق ، والحلـول هو تشـبيه المخلـوق بالخالق [1] 0

وللتعـرف على حقيقة القـول بوحـدة الوجـود ، ومعرفة أبعادها عند الصوفية ، لابد من استعراض أقوالهم ، ومن أشهرهم ابن عربي [2]

قال ابن عربي ، في فص حكمة إلهية في كلمة آدمية : «لما شـاء الحق سـبحانه ، من حيث أسـماؤه الحسنى ، الـتي لا يبلغها الإحصـاء ، أن يـرى أعيانها ، وإن شئت قلت : أن يرى عينه في كون جامع يحصر الأمر كله ، لكونه متصفاً بالوجود ، ويظهر به سـره إليه ، فـإن رؤية الشـيء نفسه بنفسه ، ما هي مثل رؤيته نفسه في أمر آخر يكون له كالمرآة »[3] 0

وقال كذلك : « لولا سريان الحق ، في الموجودات بالصورة ، ما كان للعالم وجود »[4]

ثم قال : « فكان آدم عين جلاء تلك المرآة ، وروح تلك الصـورة ، وكـانت الملائكة من قـوى تلك الصـورة ، التي هي صورة العـالم المعـبر عنه في اصـطلاح القـوم - الصوفية - بالإنسان الكبير » [5] 0

---

1 - انظر : الفتاوى ، 2/171-173 ، و دراسات في التصوف الإسلامي ، ص 334

2 - وينبغـي أن يعلم أولاً أن كلام ابن عـربي دائر على الوحـدة المطلقة ، وهي أنه لا شـيء سوى هذا العالم ، وان الإله أمر كلي لا وجود له إلا في ضمن جزئيات 0

وقال شيخ الإسـلام عن مـذهب ابن عـربي : « وهـذا تحقيق ما ذكرته من مذهبه : أن وجـود الأعيان عنده وجود الحق ، والأعيان كانت ثابتة في العدم ، فظهر فيها وجود الحق بالمتجلى له ، والعبد لا يرى الوجود مجرداً عن الذوات ، ما يـرى إلا الـذوات الـتي ظهر فيها الوجـود ، فلا سـبيل له إلى رؤية الوجـود أبـداً ، وهـذا عنـده هو الغاية الـتي ليس فوقها غاية في حق المخلـوق وما بعـده إلا العـدم المحض ، فهو مرآتك في رؤيتك نفسك وأنت مرآته في رؤيته أسـماءه وظهـور أحكامها ، وذلك لأن العبد لا يـرى نفسه الـتي هي عينه إلا في وجـود الحق الذي هو وجوده ، والعبد مرآته في رؤيته أسـماءه وظهـور أحكامها ؛ لأن أسـماء الحق عنـده هي النسب والإضافات الـتي بين الأعيـان وبين وجـود الحق ، وأحكـام الأسـماء هي الأعيـان الثابتة في العدم ، وظهور هذه الأحكام بتجلي الحق في الأعيان ، والأعيـان الـتي هي حقيقة العيان ، هي مرآة الحق الـتي بها يـرى أسـماءه وظهـور أحكامها ، فإنه إذا ظهر في الأعيـان حصلت النسبة التي بين الوجـود والأعيـان وهي الأسـماء ، وظهـرت أحكامها وهي الأعيـان ، ووجود هذه الأعيان هو الحق ، فلهذا قال : وليست سوى عينه فاختلط الأمر وأنْبهم 0

فتـدبر هـذا من كلامه وما يناسـبه لتعلم ما يعتقـده من ذات الحق وأسـمائه وأن ذات الحق عنـده هي نفس وجـود المخلوقـات ، وأسـماءه هي النسب الـتي بين الوجـود والأعيـان ، وأحكامها هي الأعيان لتعلم كيف اشـتمل كلامه على الجحـود لله ولأسـمائه ولصـفاته وخلقه وأمره ، وعلى الإلحاد في أسماء الله وآياته ، فإن هـذا الـذي ذكـره غاية الإلحـاد في أسـماء الله وآياته 000»

(مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي ، تأليف العلامة برهان الدين البقـاعي ، تحقيق وتعليق : عبد الرحمن الوكيل ، الرياض: مكتبة الرشد ، ص 19 ، مجموعة الرسائل والمسائل ، 2/ 61)0

3 - فصوص الحكم ، ص 48

4 - فصوص الحكم ، ص 55

5 - فصوص الحكم ، ص 49

ثم أضاف القول : « فسمي هذا المذكور : إنساناً وخليفة ، فأما إنسانيته فلعموم نشأته وحصره الحقائق كلها ، وهو للحق بمنزلة إنسان العين من العين - تعالى الله عما يقوله علواً كبيراً- الذي يكون به النظر ، وهو المعبر عنه بالبصر ، فلهذا سمي إنساناً ، فإنه به ينظر الحق ، إلى خلقه فيرحمهم ، فهو الإنسان الحادث الأزلي ، والنشء الدائم الأبدي ، والكلمة الفاصلة الجامعة قيام العالم بوجوده »[1]0

وأضاف القول : « 000فوصف نفسه لنا بنا ، فإذا شهدناه شهدنا نفوسنا ، وإذا شهدنا شهد نفسه ، ولا شك أنّا كثيرون بالشخص والنوع ، وأنّا وإن كنا على حقيقة واحدة تجمعنا ، فنعلم قطعاً أن ثم فارقاً به تميزت الأشخاص بعضها عن بعض ، ولولا ذلك ما كانت الكثرة في الواحد »[2]

وقال النبهاني[3] : « العفيف - التلمساني - هذا من عظماء الطائفة القائلين بالوحدة المطلقة ، ومن كفر ابن عربي ، فهو إلى تكفير هذا أسرع ، لاعترافهم بأنه أحذق منه [4]، ومن غيره من القائلين بذلك »[5]0

ويرى ابن عربي ، أن العبد هو عين الرب ، والرب هو العبد ، لا فرق بينهما ، فقال مؤكداً هذا الاعتقاد :

فأنت عبد وأنت رب   لمن له فيه أنت عبد
وأنت رب وأنت عبد   لمن له في الخطاب عهد[6]

وقال أيضاً:

يا خالق الأشياء في نفسه   أنت لما تخلقه جامع
تخلق ما لا ينتهي كونه فيك   فأنت الضيق الواسع[7]

---

[1] - فصوص الحكم ، ص 49 - 50

[2] - فصوص الحكم ، ص53

[3] - يوسف بن إسماعيل بن علي بن يوسف بن إسماعيل النبهاني ، الشافعي ، أبو المحاسن ، أديب وشاعر صوفي ، من القضاة ، ولد بقرية إجزم بشمالي فلسطين ، سنة 1265هـ ، ونشأ بها ، ورحل إلى مصر فانتسب إلى الأزهر ، توفي في مسقط رأسه في 29 رمضان سنة 1350 هـ ، وله العديد من المؤلفات 0(معجم المؤلفين 13/ 275-276) 0

[4] - قال شيخ الإسلام ابن تيميه : « وأما التلمساني ونحوه فلا يفرق بين ماهيه ووجود ، ولا بين مطلق ومعين ، بل عنده ما ثم سوى ، ولا غير بوجه من الوجوه ، وإنما الكائنات أجزاء منه وأبعاض له ، بمنزلة أمواج البحر في البحر ، وأجزاء البيت من البيت ، فمن شعرهم :

البحر لا شك عندي في توحده   وإن تعددت بالأمواج والزبد
فلا يغرنك ما شاهدت من صور   فالواحد الرب ساري العين في العدد

إلى أن قال : ولا ريب أن هذا القول : هو أحذق في الكفر والزندقة » الفتاوى 2/169

[5] -الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ، 2/90

[6] - فصوص الحكم ، ص 92

[7] -فصوص الحكم ، ص 88

وقال كذلك :

فيحمدني وأحمـــده ويعبدني وأعبـده
ففي حال أقـر به وفي الأعيان أجحده[1]

ومن القائلين بوحدة الوجود من الصوفية ، ابن سبعين ، فقد اعتمد على الفلسفة في استنتاج مذهبه في وحدة الوجود ، «الذي قارن بين ارتباط الكل بالجزء في قضايا الفلسفة ، وبين ارتباط الخالق بالمخلوق في العقيدة ، فشبه الخالق بالكل ، والمخلوق بالجزء ، واستنتج من هذا ارتباط الخالق بالمخلوق في وحدة تامة ، سماها وحدة الوجود»[2]

فقال : « الوجود إما واجب الوجود ، وهو الكل والهوية ، وإما ممكن الوجود وهو الجزء والماهية ، فالربوبية هي الهوية التي هي الكل، والعبودية هي الماهية التي هي الجزء »[3]

وقال كذلك : « ولا وجود لكل إلا في جزء ، ولا لجزء إلا في كل ، فاتحد الكل بالجزء ، فارتبط الأصل وهو الوجود وافترقا وانفصلا بالفرع ، فالعامة و الجهال غلب عليهم العارض ، وهو الكثرة والتعدد ، والخاصة العلماء غلب عليهم الأصل، وهو وحدة الوجود »[4] 0

المطلب الثاني : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه وحدة الوجود عند الصوفية 0

لم أعثر على رد لعلماء السلف في القرن الثامن الهجري ، على منتحلي وحدة الوجود ، بشكل مفصل ، عدا ردود شيخ الإسلام ابن تيمية، وكانت ردود باقي علماء السلف في هذا القرن ، ردوداً على الأشخاص الذين يدينون بهذا المعتقد الفاسد0

---

[1] - فصوص الحكم ، ص 83 0 وقول ابن عربي في هذه الأبيات وما سبقها كفر صريح؛ لأنه ، يساوي بين العبد والرب ، وبين الخالق والمخلوق ، وبين العابد والمعبود ، قال شيخ الإسلام ابن تيميه :« فقول القائل : إن الرب والعبد شيء واحد ، ليس بينهما فارق : كفر صريح » [الفتاوى ، 2/374]

[2] - موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية ، ص 183 0

قال الدكتور أبو الوفا الغنيمي : « الفكرة الأساسية في مذهب ابن سبعين ، فكرة غاية في البساطة ، وهي : أن الوجود واحد ، وهو وجود الله فقط ، أما سائر الموجودات الأخرى ، فوجودها عين وجود الواحد ، فهي غير زائدة عليه بوجه من الوجوه » ، (ابن سبعين وفلسفته الصوفية ، د: أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني ، ط1، بيروت : دار الكتاب اللبناني ، 1973 م) ، ص 191

[3] - الألواح ، ابن سبعين، نسخة خطية بمجموعة الخزانة التيمورية ، (149 تصوف) ، ص 132 و ابن سبعين وفلسفته الصوفية ، ص 200

[4] - الألواح ، ص 132 ، وابن سبعين وفلسفته الصوفية ، ص 200

وأبرز من حظي بالردود[1] زعيم وحدة الوجود ابن عربي[2]، الذي وصفــه الإمام الــذهبي بأنه : « قــدوة أهل الوحدة»[3] ، وذكر له أشـعاراً تـبين فسـاد عقيدته وتلبسه بوحدة الوجود ، منها:

فما ثم إلا الله ليس ســــواه فكل بصـــير بـــالوجود يـراه[4]

وذكر لـــه :

لقد صــارقلبي قــابلاً كل صــورة فمــرعى لغــزلان ودير لرهبـان
وبيت لأوثــان وكعبة طائـف وألــواح تــوراة ومصــحف قرآن
أدين بــدين الحب أنّى تــوجهت ركائبه فــالحب ديــني وإيمانـي
لنا أســـــوة في بشر هند وأختها وقيس وليلى ثم مـي وغين [5]

---

[1] - أفتى ثلة من علماء القرن الثامن الهجري ، بكفر ابن عربي لما جاء في كتابه " فصـوص الحكم " من الكفر الصريح والضلال المبين ، والجراءة على الله - تبـارك وتعـالى - ، منهم : ابن دقيق العيد (ت 702هــ) ، ومسـعود بن أحمد الحـارثي (ت 711 هــ) ،وعمـاد الـدين أحمد بن إبراهيم الواسطي(ت 711هـ) ، ومحمد بن يوسف الجزري (ت 711هــ) ، ونجم الدين محمد بن عقيل البالسي الشافعي (ت 729هـ) ، وعلاء الدين البخاري ، (ت 730هـــ)، وبرهان الدين الجعبري (ت 732 هــ) ، وابن جماعة (ت 733هــ) ، وسـيف الـدين عبد اللطيف بن بلبان السعودي (ت 734هــ) ، ومحمد بن محمد بن سـيد النـاس(ت 736هــ) ، وزين الدين عمر بن أبي الحرم الكنتاني (ت 738هــ) ، والحافظ جمـال الـدين المـزي (ت 742هـ) ، وشـرف الـدين عيسى بن مسـعود الـزواوي (ت 743هــ) ، وأبو حيـان محمد بن يوسف (ت 745 هـ) ، وتقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي (ت 756هـ)، وجمال الدين عبد الله يوسف بن هشام (761هـ) ، وأبو أمامة محمد بن علي ابن النقــاش ، (ت 763هــ)0 [انظـر: العقد الثمين ، 2/ـ 171-174، 176، 187، 191 ، و مصـرع التصوف ، ص 151-153، 155-157،161-162،165، 185 ، والعلم الشامخ ، في تفضيل الحق على الأباء والمشايخ ، تـأليف العلامة صـالح بن المهـدي المقبلي االيمـني ، (دمشـق: مكتبة البيان ، 1981م ، ص 558،579،589،590، 596 ، ورسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي ،جمع وتحقيق د: موسى بن سليمان الدويش ، ط1 ، الرياض : مطابع شركة الصفحات الذهبية ، 1410 هـ ، ص 71، 83، 85) 0

[2] - ذكر الذهبي أنه ابن العربي والصحيح ما أثبته 0 (تاريخ الإسلام ط64 ، ص 352)

[3] - تاريخ الإسلام ، الطبقة 64 ، ص 352

[4] - الفتوحات ، 3/321 0 قال شيح الإسلام ابن تيمية عن هذا البيت : «قـول القائل ما ثم إلا الله : لفظ مجمل ، يحتمل معنى صحيحاً ومعـنى بـاطلاً ، فـإن أراد ما ثم خـالق إلا الله ، ولا رب إلا الله 000فهذه المعـاني كلها صـحيحة 000وأما إن أراد القائل : «ما ثم إلا اللـه» ما يقوله أهل الاتحاد؛ من أنه ما ثم موجود إلا الله ، ويقولون : ليس إلا الله أي ليس موجود إلا الله ، ويقولــون : إن وجــود المخلوقــات هو وجــود الخــالق ، والخــالق هو المخلــوق ، والمخلـوق هو الخـالق ، والعبد رب ، والـرب عبد ، ونحو ذلك من معـاني الاتحادية ، الـذين لايفرقــون بين الخــالق والمخلــوق ، ولا يثبتــون المباينة بين الــرب والعبد ، ونحو ذلك من المعاني ، التي توجد في كلام ابن عربي الطائي ، وابن سبعين ، وابن الفارض ، والتلمساني ، ونحوهم من الاتحادية » 0 [الفتاوى ، 2/ 488-490]

[5] - ترجمان الأشواق لابن عربي ، (بيروت : دار صادر ، 1386 هــ) ، ص 43-44 وانظـر: ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق لابن عربي ، (القاهرة : طبعة مكتبة الكليات الأزهرية) ، ص 49

وذكر له كذلك :

عقد الخلائق في الإله عقائـــداً وأنا اعتقـــدت جميع ما اعتقدوه[1][2]

قال شيخ الإسلام ابن تيميه عن هذه الأبيات : « فهـذا الـبيت يعـرف لابن عـربي ، 000وهو كلام متنـاقض باطل ، فـإن الجمع بين النقيضــين في الاعتقـاد في غاية الفساد ، والقضيتان المتناقضتان بالسـلب والإيجـاب على وجه يلــزم من صــدق أحــدهما كــذب الأخــرى ، لا يمكن الجمع بينهمـــا، وهـــؤلاء يزعمـــون أنه يثبت عنـــدهم في الكشف ما ينـاقض صـريح العقل ، وأنهم يقولـون بـالجمع بين النقيضــين وبين الضــدين ، وأن من ســلك طــريقهم يقول بمخالفة المعقـول والمنقـول ، ولا ريب أن هـذا من أفسد ما ذهب إليه أهل السفسطة [3]»[4]

وأورد الذهبي قول ابن عربي ، في الحق تبارك اســـمه : « فهو الســـاري في مســـمى المخلوقـــات والمبدعات ، ولو لم يكن كذلك ما صح الوجود ؛ فهو عين الوجود »[5]

وقال : « ثم تممها محمد -- بما أخبر به عن الحق تعالى ؛ بأنه عين السمع والبصر واليد والرجل واللسان » ثم ذكر قول ابن عربي في قول الحق تبارك وتعالى : [000خلق منها زوجها000] ، [النساء : 1 الآية] 0

قال : « فما نكح سوى نفسه ، فمنه الصاحبة والولد ، والأمر واحد في العدد »[6] وفيه :

فيحمدني وأحمـــده ويعبدني و أعبـده
ففي حال أقر بـــه وفي الأعيان أجحده
فيعرفني وأنكـــره وأعرفه وأشهـده [7]

---

[1] - الفتوحات ، 3/131
[2] - تاريخ الإسلام ـ الطبقة 64، ص 354
[3] - السفســطة : قيــاس مــركب من الوهميــات والغــرض منه تغليط الخصم واســكاته 0 [التعريفات ـ ص 124]
[4] - الفتاوى ، 2/ 311
[5] - انظر : فصوص الحكم ، ص 55
[6] - فصوص الحكم ـ ص 78
[7] - فصوص الحكم ، ص 83

فقال الذهبي ، معلقاً على ما سبق : « تعالى الله عما يقول - يعني ابن عربي - علواً كبيراً ، واستغفر الله ، وحاكي الكفر ليس بكافر »[8]

وقال الذهبي واصفاً حال ابن عربي :« ثم تزهد وتفرد وتعبد وتوحد ، وسافر وتجرد ، وأتهم وأنجد ، وعمل الخلوات ، وعلق شيئاً كثيراً في تصوف أهل الوحدة ، ومن أرداء تواليفه كتاب «الفصوص »، فإن كان لا كفر فيه ، فما في الدنيا كفر ، نسأل الله العفو والنجاة ، فواغوثاه بالله »[2]

وقال ابن أبي العز : « ومنهم - الصوفية - من يظن أنه قد صار أفضل من الأنبياء !! ومنهم من يقول : إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء !! ويدعي لنفسه أنه خاتم الأولياء !! ويكون ذلك العلم و هو حقيقة قول فرعون ، وهو أن هذا الوجود المشهود واجب الوجود بنفسه ، ليس له صانع مباين له ، ولكن هذا يقول : هو الله !! وفرعون أظهر الإنكار بالكلية ، لكن كان فرعون في الباطن أعرف منهم بالله ، فإنه كان مثبتاً للصانع ، وهؤلاء ظنوا أن الوجود المخلوق ، هو عين الخالق ، كابن عربي وأمثاله »[3]

وقال الذهبي في ابن عربي : « وصنف في تصوف الفلاسفة ، أهل الوحدة ، فقال أشياء منكرة »[4]

ولم تقتصر ردود علماء السلف ، على بيان ضلال ابن عربي ، وانتحاله لوحدة الوجود ؛ بل ردوا على كل من شاكله وشايعه وانتحل نحلته 0

قال الذهبي في ترجمة ابن سبعين : « كان من زهاد الفلاسفة ، من القائلين بوحدة الوجود ، له تصانيف وأتباع ، يقدمهم يوم القيامة»[5]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على أصحاب وحدة الوجود وخصوصاً ابن عربي : « فإن قول القائل

---

[8] -تاريخ الإسلام ـ الطبقة 64، ص 358 ـ والأبيات في الفصوص ، ص 83
[2] - السير ، 23/ 48
[3] -شرح العقيدة الطحاوية ، ص 743 ـ وانظر : ص 11 ـ وتفسير سورة الإخلاص لابن رجب ص 48
[4] - ميزان الاعتدال ، 6/ 270 ـ وانظر : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ـ 2/ 287
[5] -العبر في خبر من غبر ـ لمؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي ـ ط1 ـ (لبنان : بيروت ـ دار الكتب العلمية ، 1405هـ) ، 3/ 320 ـ وانظر : السير ـ 17 / 121 -122

إن آدم للحق تعالى بمنزلة إنسان العين من العين ، الـذي يكـــون به النظر يقتضي أن آدم جـــزء من الحق تعـــالى وتقدس ، وبعض منه ، وأنه أفضل أجزائه وأبعاضه ، وهـذا هو حقيقة مـذهب هـؤلاء القـوم 000 فـإن صـاحب هـذا الكتـــاب المـــذكور الـــذي هو "فصـــوص الحكم" وأمثاله 000وأتباعهم مذهبهم الذي هم عليه :
أن الوجـود واحد ويسـمون أهل وحـدة الوجـود ، ويـدعون التحقيق والعرفان ، وهم يجعلون وجود الخالق عين وجود المخلوقات فكلما يتصف به المخلوق من حسن ، وقـبيح ، ومـــدح ، وذم ، إنما المتصف به عنـــدهم عين الخـــالق ، وليس للخـالق عنـدهم وجـود مبـاين لوجـود المخلوقـات ، منفصل عنها أصلاً ، بل عندهم ما ثم غير أصلاً للخالق ولا سواه 000فعباد الأصنام لم يعبدوا غـيره عنـدهم ، لأنه ما عندهم له غير »[1]

وأردف قـائلاً : « وقد ضل في هـذا جماعة ولهم معرفة بـالكلام والفلسـفة ، والتصـوف المناسب لـذلك ، كـــابن ســـبعين والصـــدر القونـــوي تلميذ ابن عـــربي 000والتلمساني وهو من حـذاقهم علمـاً ومعرفة ، فكـان يظهر المـذهب بالفعل فيشـرب الخمر ويـأتي المحرمـات 000 وحدثني من كان معه ومع آخر نظير له ، فمـرا على كلب أجـــرب ميت بـــالطريق عند دار الطعم ، فقـــال له رفيقه : هذا أيضاً ذات الله 0 فقال : وهل ثم شيء خـارج عنها ، نعم الجميع في ذاته ، وهـؤلاء حقيقة قـولهم قـول فرعون»[2]، الذي اسـتحق به الخلـود في النـار ؛ لأنه أقبح الأقـــوال ، بحق الله ســـبحانه ، المـــنزه عن النـــواقص ، والعيـوب ، والأشـباه ، والمماثلـة، فتعـالى الله عما يقـول المبطلون الضالون الجاحدون 0

وهناك عديد من إشارات الذم ، من علماء السلف في القرن الثامن الهجـري ، لهـذه النحلة الفاسـدة ،الـتي انتحلها بعض الصوفية ، متناثرة في كتبهم [3]0

---

[1] - الفتاوى 2/122-124 ، وانظر: مجموعة الرسائل والمسائل ، 1/178-189
[2] - مجموعة الرسائل والمسائل ، 1/139-140
[3] - انظر : البداية والنهاية ، 14/ 446 ، 461 ، وفضل علم السلف ص 44-45 واستنشاق نسيم الإنس ص 21

ويتكون من : تمهيد ، ومبحثين **:**

التمهيد :تعريف الفناء ، لغة واصطلاحاً 0

المبحث الأول : الفناء عند الصوفية 0

المبحث الثـــاني : جهـــود علمـــاء الســـلف ، في القرن الثامن الهجري، تجاه الفناء عند الصـوفية 0

التمهيد : تعريف الفناء لغة واصطلاحاً 0

أولاً - تعريف الفناء لغة :

« فَنِيَ كرضِيَ وسعى ، فَنَاءً : عُدِمَ ، وأفناه غيره ، وفني فلان : هَرِم0
والفاني الشيخ الكبير 0 وتفانوا : أفنى بعضهم بعضاً »[1] 0

وبهذا يكون معنى الفناء في اللغة ؛ العدم والزوال بعد الوجود ، أو التحـول من حـال إلى حـال ، وهو نقيض البقاء 0

ثانياً : تعريف الفناء اصطلاحاً :

« سقوط الأوصاف المذمومة »[2] 0
وعرفه الكلاباذي : «أن يفنى عنه الحظوظ ، فلا يكـون له في شـيء من ذلك حظ ، ويسـقط عنه التميـيز ؟! ، فنـاء عن الأشياء كلها شغلاً بما فني فيه »[3] 0
وعرفه ابن عربي أنه : « فناء رؤية العبد لفعله ، بقيام الله عز وجل على ذلك »[4] 0
وجاء ذكر الفناء في القرآن الكريم ، في قوله تعالى :]كل من عليها فان [، [الرحمن : 26] 0

وأشار الراغب الأصفهاني إلى أن الفناء من معاني الهلاك ، فقال: «بطلان الشيء من العالم ، وعدمه رأسـاً ، وذلك المسمى فناءً »[5]

وقال ابن كثير في معنى الفناء في الآية السابقة : « يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض ، سيذهبون ويموتون ، وكذلك أهل السماوات ؛ إلا من شاء ، ولا يبقى أحد سـوى وجهه الكريم »[6]
وقال ابن القيم : « الفناء المذكور في الآية : ليس هو الفناء الذي تشـير إليه الطائفة - الصـوفية - ، فـإن الفنـاء في الآية الهلاك والعدم»[7]

---

[1] - القاموس المحيط ، ص 1704، باب (الياء) 0
[2] - التعريفات ، ص 176 ، وانظر: معجم اصطلاحات الصوفية ، ص 365
[3] - التعرف ، ص 142
[4] - اصـطلاحات الصـوفية ، ص 13 ، وانظر : إيقـاظ الهمم في شـرح الحكم ، ابن عجيبة الحسني ، (بيروت : المكتبة الثقافية ، 1408هـ 0) ، ص 296
[5] - المفردات ، ص 544
[6] تفسير القرآن العظيم ، 4/ 292
[7] - مدارج السالكين ، 3/385

وقد ورد لفظ الفناء ، في الحديث الشريف ، قال رسول الله -ﷺ- : «لا تزول قدما عبد يوم القيامة ، حتى يُسئل عن عمره فيما أفناه000»[1] 0

وبهذا يكون معنى الفناء في القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، متطابقاً ؛ وهو الهلاك والذهاب بعد الوجود ، فهو مغاير للفناء عند الصوفية ، وليس من معانية ما يرمي إليه بعضهم ، ولا من مقاصده ما يصلون إليه من حلول واتحاد فوحدة وجود 0

المبحث الأول:الفناء عند الصوفية 0

كثيراً ما يتردد ذكر الفناء في مؤلفات الصوفية ، منسوباً إلي كبار مشايخهم ؛ ولهذا قال السهروردي : « واعلم أن أقاويل الشيوخ في الفناء ،والبقاء كثيرة »[2] 0

وفرق بعض الصوفية ، بين الفناء والبقاء ، فقال : «الفناء هو : التلاشي بالحق ؟! ، والبقاء هو الحضور مع الحق 0 وقال بعضهم : علم الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوحدانية ، وصحة العبودية ، وما كان غير هذا فهو من المغاليط والزندقة»[3]0

وقد نبه بعض الصوفية ، لخطورة الزلل في الفناء ، وعدم التفريق بين فناء الأخلاق البشرية ، وبين فناء البشرية ذاتها 0

فقال الطوسي ،مبيناً ذلك : « أما القوم الذين غلطوا في فناء البشرية ، سمعوا كلام المتحققين في الفناء ، فظنوا أنه فناء البشرية ، فوقعوا في الوسوسة » إلى أن قال : « ولم تحسن هذه الفرقة الجاهلة الضالة أن تفرق بين البشرية ، وبين أخلاق البشرية ؛ لأن البشرية لا تزول عن البشر»[4] 0

وبين أن مراد من أشار إلى الفناء : « أراد به فناء رؤيا الأعمال والطاعات »[5] 0

---

[1] - سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، أشرف على التعليق والطبع : عزت عبيد الدعاس ، (تركيا : استنبول ، المكتبة الإسلامية) ، كتاب صفة القيامة والرقائق والروع ، باب: في القيامة « في شأن الحساب والقصاص » ، 7 /، 136 ، حديث رقم 2419 0 قال : هذا حديث حسن صحيح 0

[2] - عوارف المعارف ، ص 471

[3] - عوارف المعارف ، ص 470

[4] - اللمع ، ص 543

[5] - اللمع ، ص 543

وذكر الكلاباذي : أن من « الفناء فناء عن شهود المخالفات والحركات، قصداً وعزماً ، وبقاء شهود الموافقات والحركات قصداً وفعلاً ، وفناء عن تعظيم ما سوى الله ، وبقاء في تعظيم الله تعالى »[1] 0

وذكر القشيري ، أن الفناء عند بعض القوم ، هو:«سقوط الأوصاف المذمومة »[2]

وبيّن أنه إذا قيل : « فني الإنسان عن نفسه وعن الخلق ؛ فنفسه موجودة والخلق موجودون ، ولكن لا علم له بهم ولا به ، ولا إحساس ولا خبر ، فتكون نفسه موجودة ، والخلق موجودون ، ولكنه غافل عن نفسه وعن الخلق أجمعين ، غير حاس بنفسه وبالخلق ، لكمال اشتغاله بما هو أرفع من ذلك »[3] 0

وقد بيّن الهجويري : « أن كل الأقاويل - في الفناء - من جهة المعنى قريبة من بعضها البعض ، ولو أنها مختلفة العبارة ، وحقيقة هذا كله هو أن فناء العبد عن وجوده ، يكون برؤية جلال الحق وكشف عظمته ، حتى ينسى الدنيا ، والعقبى في غلبة جلاله ، وتبدو الأحوال والمقامات حقيرة في نظر همته»[4]0

فهذا هو الفناء عند الصوفية ، وما فيه من المحاذير ، وما قد يجر إليه من حلول ووحدة وجود ، وتعطيل للتكاليف الشرعية0

---

[1] - التعرف ، ص 144
[2] - القشيرية ، ص 67
[3] - القشيرية ، ص 68
[4] -كشف المحجوب ، ص 486

المبحث الثــاني : جهــود علمــاء الســلف ، في القرن الثامن الهجري، تجاه الفناء عند الصـوفية 0

أدرك علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري ، ما قد يؤل إليه أمر الفناء ، ولهذا بينوا مخاطره ،وحـذروا من المزالق الخطيرة ،التي قد يجر إليها الفناء ،بصورته الـتي يـروج لها بعض الصـوفية ، وما قد يفضي إليه من حلـول واتحاد ووحدة وجود ، وهو مايشيرون إليه بفنـاء السـوى ، وهو مزلق خطير يؤدي إلى اعتقاد فاسد 0

وذكر الذهبي أن أبا سعيد الخراز: أول من تكلم في علم الفنــاء والبقــاء ، وبيّن أن أقواله أضــحت مســتنداً تشبث به كل ضال من الاتحادية0
فقال عن أبي سعيد الخراز : « يقال إنه أول من تكلم ، في علم الفنـاء والبقـاء ، 000فولد أمـراً كبـيراً ، تشبث به كل اتحادي ضال به»[1]0

وقال في ترجمة الهروي[2] : « قد انتفع به خلق ، وجهل آخرون، فإن طائفة من صوفية الفلاسفة والاتحـاد ، يخضــعون لكلامه في « منــازل الســائرين » وينتحلونه ، ويزعمون أنه موافقهم 0

كلا ؛ بل هو رجل أثــري ، لهج بإثبـات نصـوص الصـفات ، منـافر للكلام وأهله جـداً ، وفي «منازلـة» إشـارات إلى المحو والفنـاء ، وإنما مـراده بـذلك الفنـاء هو الغيبة عن شهود السوى ، ولم يُرد محو السوى في الخـارج ، وياليته

---

[1] - السير ، 13/ 420 ، والخبر في طبقات الصوفية للسلمي ونصه : « قيل : إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء » ، ص 227

[2] - أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد الأنصاري الهـروي ، مصـنف كتـاب « ذم الكلام » وشيخ خراسان ، من ذرية صاحب النبي -- أبي أيوب الأنصـاري -- مولـده في سنة ست وتسعين وثلاث مائة 0 [السير ، 18/503]

لا صنف ذلك ، فما أحلى تصوف الصحابة والتابعين[1]، ما خاضوا في هذه الخطرات والوساوس »[2] 0

ونهج ابن رجب نهج الذهبي في ترجمة الهروي فقال : «وله كلام في التصوف والسلوك دقيق 0

وقد اعتنى بشرح كتابه « منازل السائرين » جماعة ، وهو كثير الإشارة إلى مقام الفناء في توحيد الربوبية ، واضمحلال ما سوى الله تعالى في الشهود لا في الوجود ، فيتوهم منه أنه يشير إلى الاتحاد ، حتى انتحله قوم من الاتحادية وعظموه لذلك ، وذمه قوم من أهل السنة وقدحوا فيه بذلك ، وقد برأه من الاتحاد شيخنا أبو عبد الله ابن القيم في كتابه الذي شرح فيه « المنازل » وبيّن أن حمل كلامه على قواعد الاتحاد زور وباطل»[3] 0

وعلق الذهبي على قول القرميسيني[4] : « علم الفناء والبقاء ؛ يدور على إخلاص الوحدانية ، وصحة العبودية ، وما كان غير هذا فهو من المغالطة والزندقة »[5]

فقال الذهبي : « صدقت والله ، فإن الفناء والبقاء من ترهات الصوفية ، أطلقه بعضهم ، فدخل من بابه كل إلحادي ، وكل زنديق 0

وقالوا : ماسوى الله ؛ باطل فانٍ ، والله تعالى هو الباقي ، وهو هذه الكائنات ، وما ثم شيء غيره »[6] 0

واستشهد الذهبي على ضلالهم ، بقول أحد شعرائهم :

وما أنت غير الكون   بل أنت عينه

وقول الآخر :

وما ثَمَّ إلا الله ليس سواه[7] 0

فانتقد هذا القول ، وبيّن ضلاله وانحرافه عن الهدى والاستقامة ، بقوله : « فانظر إلى هذا المروق والضلال ،

---

1 - يا ليت الإمام الذهبي لم يقل ذلك ؛ فالصحابة والتابعون رضي الله عنهم ، لم يكونوا صوفية ألبتة ، ولا منتحلين لهذا المسلك ، وإنما كانوا على هدى القرآن يسيرون ، ومن منابع السنة ينهلون ، فهم السلف المقتدى بهم ، في المنهج والسلوك 0

2 - السير ، 18 / 510

3 - ذيل طبقات الحنابلة ، 3/ 67 ، والكتاب الذي شرح به ابن القيم «منازل السائرين » للهروي هو : « مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين » وهو كتاب مطبوع مشهور 0

4 - أبو إسحاق إبراهيم بن شيبان القرمسيني ، شيخ وقته ، صحب أبا عبد الله المغربي والخواص 0[طبقات الصوفية ، ص 402 ، والرسالة القشيرية ، ص 425]

5 - السير ، 15/ 393 ، وطبقات الصوفية ، ص 404

6 - السير ، 15/ 393

7- بمعنى بيت لابن عربي قال فيه :

وما ثم إلا الله لاشيء غيره   وما ثم ثم إذ كانت العين واحدة 0

(الفتوحات ، 2/837)

بل كل ماسوى الله محدث موجود ، قال تعالى :] 000خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام000 [، [السجدة : 4] 0

ثم بيّن مراد قدماء الصوفية بالفناء بقوله : « إنما أراد قدماء الصوفية بالفناء ، نسيان المخلوقات وتركها ، وفناء النفس عن التشاغل بالمخلوقات ورؤيتها ، والإقبال عليها ، وتعظيم خالقها »[1] 0

وأكد ابن أبي العز أن : « الفناء الذي يشمر إليه غالب الصوفية،000هو درب خطر ، يفضي إلى الاتحاد »[2]

وقال : « هذه النقول والعقول حاضرة ، فهذا كلام الله المنزل على رسوله -ﷺ- ، وهذه سنة الرسول -ﷺ- ، وهذا كلام خير القرون بعد الرسول -ﷺ- ، وسادات العارفين من الأئمة ، هل جاء ذكر الفناء فيها؟!000 وإنما حصل هذا من زيادة الغلو في الدين »[3]

وأورد الذهبي كلام ابن الأعرابي[4] : « وكذلك علم المعرفة غير محصور ، لانهاية له ولا لوجوده ، ولا لذوقه» 0

إلى أن قال : - وقد أحسن في المقال - : « فإذا سمعت الرجل يسأل عن الجمع ، أو الفناء ، أو يجيب فيهما ، فاعلم أنه فارغ»[5] 0

فقال الذهبي معلقاً عليه : « إي والله ، دققوا وعمقوا وخاضوا ، في أسرار عظيمة ، ما معهم على دعواهم فيها سوى الظن وخيال ، ولا وجود لتلك الأحوال من الفناء والمحو والصحو والسكر ، إلا مجرد خطرات ووساوس ، ما تفوه بعباراتهم صدِّيق ، ولا صاحب ، ولا إمام من التابعين ، فإن طالبتهم بدعاويهم مقتوك ، وقالوا: محجوب »[6]

---

[1] - السير ، 15/ 393
[2] - شرح العقيدة الطحاوية ، ص 55 ، وانظر : مدارج السالكين ، 3/ 518
[3] - شرح العقيدة الطحاوية ، ص 56 ، وانظر : مدارج السالكين ، 3/ 518
[4] - أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم ، الإمام المحدث القدوة ، أبو سعيد بن الأعرابي البصري الصوفي ، نزيل مكة وشيخ الحرم ، توفي بمكة المكرمة ، في شهر ذي القعدة سنة 340 هـ 0 (السير ، 15/ 407، 410) 0
[5] - السير ، 15/ 409
[6] - السير ، 15/ 409 -410

وذكر كذلك قول النوري : « سبيل الفانين الفناء في محبوبهم ، وسبيل الباقين البقاء ببقائه ، ومن ارتفع عن الفناء والبقاء فحينئذٍ لا فناء ولا بقاء » 0

وأورد ما دار بينه وبين القناد[1] من الأشعار0

فقال : « عن القناد، قال: كتبت إلى النوري وأنا حدث :

إذا كـان كل المـرء في الكل فانيـاً أبِنْ لي عن أي الوجودين يُخبر

فأجابه النوري لوقته:

إذا كنت فيما ليس بالوصف فانيـاً فوقتك في الأوصـاف عندي تحير»[2]

فقال الـذهبي تعليقـاً على ما سـبق من القـول والشعر: «هذا يحتاج إلى شرح طويل ، وتحـرز من الفنـاء الكلي ، ومـرادهم بالفنـاء ، فنـاء الأوصـاف النفسـانية ونحوها ، ونسـيانها لاشـتغالهم بالله تعـالى وبعبادته ، فـإن ذات العارف وجسده لا ينعدم ما عاش ، والكون وما حوى فمخلـوق، والله خـالق كل شـيء ومبدعه ، أعاذنا الله وإيّاكم من قول الاتحاد فإنه زندقة»[3] 0

وقد قسم شيخ الإسلام ابن تيمية ، الفناء إلى ثلاثة أقسام :

«فناء عن وجود السوى ، وفناء عن شهود السـوى ،وفنـاء عن عبادة السوى0

فالأول : هو فناء أهل الوحدة الملاحـدة ، كما فسـروا به كلام الحلاج - وهو أن يجعل الوجـود ، وجـوداً واحداً -0

وأما الفناء الثاني: وهو الفناء عن شهود السوى : فهذا هو الذي يعرض لكثير من السالكين ، كما يحكى عن أبي يزيد وأمثاله ، وهو مقـام الاصـطلام ، وهو أن يغيب بموجده عن وجـوده ، وبمعبـوده عن عبادته ، وبمشـهوده

---

[1] - أبو الحسن علي بن عبد الرحيم 0 (السير 24/545)

[2] - الخبر والبيتان في حلية الأولياء ، 10 / 253 -254 ، ولفظ البيت الأول في الحلية :

إذا كان الكل في النور فانياً أبن لي عن أي الوجودين أخبر 0

[3] - السير ، 14 / 72 - 73

عن شهادته 000فهذا حال من عجز عن شهود شــيء من المخلوقات ، إذا شهد قلبه وجود الخالق ، وهو أمر يعرض لطائفة من السالكين0

ومن الناس من يجعل هذا من السلوك ، ومنهم من يجعله غاية الســلوك ، حــتى يجعلــوا الغاية هو الفنــاء في توحيد الربوبية ، فلا يفرقــون بين المــأمور والمحظــور ، والمحبوب والمكروه ، وهذا غلط عظيم 000

وأما النوع الثالث : وهو الفناء عن عبادة السوى ، فهذا حال النبيين وأتباعهم ، وهو أن يفنى بعبــادة الله عن عبادة ما سواه ، وبحبه عن حب ما سواه 000ويدخل في هذا ، أن يفنى عن اتباع هواه بطاعة الله »[1] 0

وقال ابن القيم : « لم يرد في الكتاب ولا في الســنة ، ولا في كلام الصــحابة والتــابعين ، مــدح لفظ "الفنـــاء" ، ولا ذمه ، ولا استعملوا لفظة في هذا المعـني المشار إليه ألبته »[2]

هذه جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، تجاه الفنـاء عند الصـوفية ، أوضـحوا ما فيه من جـوانب الصواب ، وما فيه من الخطأ والضـلال ، وانتقـدوا أخطـاء القـــوم برؤية الناقد البصـــير ، مســـتمدين ردودهم من نصــوص الشـــرع الحكيم ، ومقاصد الشـــريعة ، والـــدين القويم0

ويتكون من : تمهيد ومبحثين :

التمهيد :تعريف العبادة ، لغة واصطلاحاً 0

[1] - الفتاوى ، 2/313-314 ، وانظر : مدارج السالكين 3/385-400
[2] - مدارج السالكين ، 3/ 394

المبحث الأول :جهود علمـاء السـلف في القـرن الثامن الهجري تجاه ، سقوط التكاليف الشرعية ، عند الصوفية 0

المبحث الثانـي : جهود علماء السلف في القرن الثـامن الهجـري تجــاه البـدع في الصـلاة ، عند الصوفية 0

المبحث الثالث : جهود علماء السلف في القـرن الثـامن الهجـري تجـاه البـدع في الصـوم ، عند الصوفية 0

المبحث الرابع : جهود علماء السـلف في القـرن الثــامن الهجـــري تجـــاه البـــدع في الحج ، عند الصوفية 0

المبحث الخــامس : جهــود علمــاء الســلف في القرن الثامن الهجـري تجـاه البـدع في الـدعاء ، عند الصوفية 0

التمهيد : تعريف العبادة ، لغة واصطلاحاً0

أولاً : تعريف العبادة لغــة :

هي « الطاعة مع الخضــــوع»[1]

ثانياً : تعريف العبادة اصطلاحاً :

هي « اسم جامع ، لكل ما يحبه الله و يرضـاه ؛ من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة »[2] 0

1 - لسان العرب ، 3/ 273 ، باب (الدال) 0
2 - العبودية ، ص 19

المبحث الأول : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه سقوط التكاليف الشرعية ، عند الصوفية 0

المطلب الأول: سقوط التكاليف الشرعية ، عند الصوفية 0

سلك بعض الصوفية ، طرائق تؤدي بهم إلى القول بسقوط التكاليف الشرعية ، وتتمثل هذه الطرائق ، - بزعم - أهل الإباحية من الصوفية ، أن التكاليف الشرعية ، يمكن أن تسقط عن المكلف ، إذا وصل إلى مرحلة معينة ، متأولين قول الحق تبارك اسمه :]واعبد ربك حتى يأتيك اليقين[[الحجر : 99]
قائلين: « إذا وصلت إلى مقام اليقين ، سقطت عنك العبادات»[1] «وأن العبد إذا بلغ غاية المحبة صفا قلبه من الفضلة ، واختار الإيمان على الكفر والكفران ، سقط عنه الأمر والنهي ، و لا يدخله الله بالنار بارتكاب الكبائر ، وبعضهم إلى أنه تسقط عنه العبادات الظاهرة ، ويكون عبادته التفكر ، وتحسين الأخلاق الباطنية »[2]

وقال ابن عربي مبيناً طريقة الصوفية : « طريقتنا : محبة لا عمل»[3]0

بل وزعموا أن : « العارف لا تكليف عليه »[4]

ونقل السهروردي قول بعض الصوفية : « أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات ، من باب البر والتقوى إلى الله تعالى» 0

فقال الجنيد : «إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال ، وهذا عندي عظيمة ، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا»[5]

---

[1] - نشأة الفلسفة الصوفية ، ص 86

[2] -اتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين ، تصنيف العلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي ، (لبنان : بيروت، دار إحياء التراث العربي) ، 2/284 0 وانظر : شرح العقائد النسفية ، للعلامة سعد الدين التفتازاني ، تحقيق الدكتور الشيخ : أحمد حجازي السقا ، ط1 ، (مصر :القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية ، 1408هـ) ، ص105

[3] - اصطلاحات الصوفية ، ص 31

[4] - طبقات الشعراني ، 1/96

[5] - عوارف المعارف ، ص 77-78

وقال محمد أبو المواهب الشاذلي[1] ، في معنى قول بعض الصوفية :« يصل الولي إلى حد يسقط عنه التكليف ؛ المراد سقوط كلفة الأعمال ومشقتها »[2]

وقد بيّن حال أولئك الطائفة من الصوفية ، القشيري فقال: « ثم اعلموا رحمكم الله ، أن أكثر المحققين من هذه الطائفة ، انقرض أكثرهم ولم يبق في زماننا هذا ، من هذه الطائفة إلا أثرهم »0

ثم قال : « 000وقد حصل الضعف في هذه الطريقة ، لا بل اندرست ، وقد مضى الشيوخ الذين كان بهم اهتداء ، وقل الشباب الذين كان لهم بسيرهم وسنتهم اقتداء ، وزال الورع وطوى بساطة ، واشتد الطمع وقوي رباطة ، وابتعدت عن القلوب حرمة الشريعة ، فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة ، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام ، كما استخفوا بأداء العبادات ، واستهانوا بالصوم والصلاة 000وادعوا أنهم تحرروا عن رق الأغلال 000وليس لله عليهم فما يؤثرونه أو يذرونه عتب ولا لوم »[3] 0

---

[1] - محمد أبو المواهب الشاذلي ، كان من الظرفاء ، وكان مقيماً بالقرب من الجامع الأزهر ، وكان له خلوة فوق سطحه ، موضع المنارة التي عملها السلطان الغوري ، وكان يغلب عليه سكر الحال 0[طبقات الشعراني ، 2/67]

[2] - طبقات الشعراني ، 2/ 68 0

وتفسيره لتلك العبارة ، التي يتداولها بعض الصوفية ، تفسير حسن ، ولكن بعض الصوفية لا يقصدون بسقوط التكاليف ، سقوط مشقة الأعمال ، وإنما كما قال الأشعري : « وفي النساك قوم يزعمون أن العبادة تبلغ بهم إلى منزلة تزول عنهم العبادات ، وتكون الأشياء المحظورات على غيرهم من الزنا وغيره مباحات لهم » 0(مقالات الإسلاميين ، ص 289) 0

[3] - القشيرية ، ص 36-37

المطلب الثـاني : جهـود علمـاء السـلف ، في القرن الثامن الهجـري ، تجـاه سـقوط التكـاليف الشرعية عند الصوفية 0

تعد دعوى سقوط التكاليف الشرعية ، عند بلوغ العبد المكلف درجة معينة من المعرفة والعبادة ، من أشد الـدعاوى تطرفـاً ، وأكثرها خطـورة ، ومع ذلك فقد تبـنى بعض الصـوفية هـذه الـدعوى ، ولهـذا تصـدى لهم علمـاء السلف ، في القرن الثامن الهجري ، بقوة وبينـوا أن هـذا القول ، يترتب عليه أمور عظيمة ، منها الخروج من الملة ، وخلع ربقة الإسلام 0

وبيّن شيخ الإسلام ابن تيميه ـ رحمه الله ـ ، أن سبب غلط الغـالطون في ذلك ، راجع إلى عـدم تفـريقهم بين الحقائق الدينية والحقائق الكونية 0

فقال : « وكثير ممن تكلم في الحقيقة ويشهدها ، يشهد هذه الحقيقة، وهي الحقيقة الكونية ، الـتي يشـترك فيها وفي شـهودها ومعرفتها المـؤمن والكـافر ، والـبر والفاجر ، وإبليس معترف بهذه الحقيقة 000

فمن وقف عند هذه الحقيقة ، وعند شهودها ولم يقم بما أمر به من الحقيقة الدينية ، الـــتي هي عبادته المتعلقة بإلهيته وطاعة أمـــره وأمر رســوله ، كـــان من جنس إبليس وأهل النار ، وإن ظن مع ذلك إنه من خواص أولياء الله وأهل المعرفة والتحقيق ، الـذين يسـقط عنهم الأمر والنهي الشـــرعيان ، كـــان من أشد أهل الكفر والإلحاد»[1]

وقال : « وهذا مقام عظيم فيه غلط الغالطون ، وكـثر فيه الاشـتباه على السـالكين ، حـتى زلق فيه من أكابر الشيوخ ، المـدعين التحقيق والتوحيد والعرفـان ، ما لا يحصيهم إلا الله »[2]

وقـال ابن القيم عن الـذين يزعمـون سـقوط التكاليف : «من هؤلاء من يسقط الأوامر والنـواهي جملة ، ويـرى القيـام بها من بـاب ضـبط نـاموس الشـرع ، ومصلحة العموم ، ومبـادئ السـير0 فهي الـتي تحث أهل الغفلة على التشمير للسير ، فإذا جدَّ في المسير استغنى بقربه وجمعيته عنها ، ومنهم من لا يرى سقوطها إلا عمن

---

[1] - الفتاوى ، 10/156-157
[2] - الفتاوى ، 10 / 158

شــهد الحقيقة الكونية ، ووصل إلى مقــام الفنــاء فيها ، فمن كان هذا مشهده : سقط عنه الأمر والنهي عندهم 0 وقد يقولــون : شــهود الإرادة يســقط الأمــر ، وفي هــذا المشهد يقولون : العارف لا يستقبح قبيحة ، ولا يستحسن حسـنة 000وهــذا من أقبح الجهــل»[1] ، وأشــنع القــول وأضله 0

وقال شيخ الإسلام عن القائلين بسقوط التكاليف : « وربما تــأولوا على ذلك قوله تعــالى:] واعبد ربك حــتى يأتيك اليقين[[الحجر : 99]0

وجعلــوا اليقين هو معرفة هــذه الحقيقة ، وقــول هــؤلاء كفــر صريح»[2]؛ لأنه ينافي حقيقة الشرع ، والحكمـة من الخلق ، فتعالى الله عما يقولون[3] 0

مبينـاً أن هــؤلاء : « يجعلـون الأمـر والنهي للمحجـوبين ، الـذين لم يشـهدوا هـذه الحقيقة الكونية ؛ ولهـذا يجعلـون من وصل إلى شـــهود هـــذه الحقيقة يســـقط عنه الأمر والنهي ، وصار من الخاصة»[4]

وشارك الشاطبي بالرد على هذه البدعة وأصحابها ، فقال : « إن الشـــريعة قد ورد طلبها على المكلفين على الإطلاق والعمـــوم ، ولا يرفعها عـــذر ؛ إلا العـــذر الرافع للخطــاب رأســاً ، وهو زوال العقل ، فلو بلغ المكلف في مـراتب الفضـائل الدينية إلى أي مرتبة بلغ ، بقي التكليف عليه كـذلك إلى المـوت ، و لا رتبة لأحد يبلغها في الــدين كرتبة رســول الله -- ، ثم رتبة أصــحابه الــبررة ، ولم يســـقط عنهم من التكليف مثقـــال ذرة إلا ما كـــان من تكليف ما لا يطاق بالنسبة إلى الآحاد ؛ كـالزّمن لا يطـالب بالجهاد ، والمُقعد لا يطـالب بالصـلاة قائمـاً ، والحـائض لا تطـالب بالصـلاة المخـاطب بها في حـال حيضـها ، ولا ما أشبه ذلك0

---

[1] - مدارج السالكين ، 1/ 269

[2] - الفتاوى ، 10 / 166

[3] - قال سعد الدين التفتازاني : « ولا يصل العبد مـادام عـاقلاً بالغـاً ، إلى حيث يسـقط عنه الأمر والنهي ، لعموم الخطابات الواردة في التكليف ، وإجماع المجتهدين على ذلك ، وذهب بعض الإباحيين إلى أن العبد إذا بلغ غاية المحبة ، وصـفا قلبه ، واختـار الإيمـان على الكفر ، من غـير نفـاق يسـقط عنه الأمر والنهي ، ولا يدخله الله تعـالى النـار ، بارتكـاب الكبـائر ، وبعضهم إلى أنه يسقط عنه العبادات الظاهرة ؛ من الصـلاة والصـوم والزكـاة والحج وغـير ذلك ، وتكون عبادته التفكر ، وهذا كفر وضلال ، فإن أكمل الناس في المحبة والإيمـان ؛ هم الأنبيـاء ، خصوصـاً حـبيب الله تعـالى ، مع أن التكـاليف في حقهم أتم وأكمل » 0 [شـرح العقائد النسفية ، ص 105]

[4] - الفتاوى ، 10 / 166

فمن رأى أن التكليف قد يرفعه البلوغ إلى مرتبة ما من مراتب الدين - كما يقوله أهل الإباحية - كـان قوله بدعة مخرجة عن الدين »[1]

وقد بيّن ابن أبي العز ، أنه لا : « خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة، والمحرمات الظاهرة المتواترة ، ونحو ذلك فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل كافراً مرتداً »[2] ، ولا بدعة وفجور أشد من زعم هؤلاء وأمثالهم سقوط التكاليف الشرعية عنهم ، إذا بلغوا حداً معيناً من المعرفة 0

وقد ذكر الشاطبي ، أن التارك للمطلوبات الشرعية ندباً أو وجوباً، يسمى مبتدعاً ، إن تركها : « تديناً فهذا الضرب من قبيل البدع ، حيث تدين بضد ما شرع الله ، ومثاله أهل الإباحية القائلين بإسقاط التكاليف ، إذا بلغ عندهم المبلغ الذي حدوه »[3]

وقد نهج ابن كثير النهج نفسه ، في الرد على القائلين بسقوط التكاليف الشرعية ، وبيّن أن القدوة في عدم سقوط التكاليف الشرعية ، رسول الله -ﷺ- وصحابته الكرام -ﷺ- فقال : « ويستدل بهذه الآية الكريمة وهي قوله:]واعبد ربك حتى يأتيك اليقين [[الحجر : 99] ، على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان ما دام عقله ثابتاً 000ويستدل بها على تخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين المعرفة ، فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم ، وهذا كفر وضلال وجهل ، فإن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته وما يستحق من التعظيم ، كانوا مع هذا أعبد وأكثر الناس مواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة ، وإنما المراد باليقين ههنا الموت»[4] ، لا ما يزعمه المبطلون الجاحدون 0

---

[1] - الاعتصام ، 1/ 198-199 ، وانظر: الموافقات ، 5/ 83 ، 105
[2] - شرح العقيدة الطحاوية ، ص 433
[3] - الاعتصام ، 1/ 29 -30
[4] - تفسير القرآن العظيم ، 2/ 581

المبحث الثانـي : جهود علماء السلف في القرن الثـامن الهجـري تجـاه،البـدع في الصـلاة ، عند الصوفية 0

المطلب الأول : البدع في الصلاة عند الصوفية :

تتمثل بدع الصوفية في الصلاة ، في عدة أمور ، فإما يتركون الصلاة كلياً ، ولا يصلون الصـلاة المفروضة ، أو يتهـــــــاونون في أدائها ، في أوقاتها ، أو لا يؤدونها مع جماعة المسلمين ، أو ابتداع صلوات غير مشروعة 0

فقد ذكر النبهاني ، عن أحد الصوفية ، أنه كـان لايصلي ، وكان أمره مشهوراً بين الناس 0

فقال: « ولما جـاء العارف الكبير الإمام شهاب الــدين عمر بن محمد الســهر وردي ، صــاحب كتــاب « عــوارف المعـارف» إلى دمشق ، 000فقـال لأصـحابه : أريد أزور عليـاً الكـردي [1]، فقـال له النـاس : يا مولانا لا تفعل ، أنت إمام الوجـود ، وهـذا رجل لا يصـلي ، ويمشي مكشوف العورة أكثر أوقاته ، فقال : لا بد من ذلك »[2] 0

وقال عن صوفي آخر : « فانعزل في بيته ، لا يخرج إلا للجمعة، عشر سنين »[3]0

ونُقل عن إبراهيم بن أدهم أنه : « كان يقول : إني لأتمنى المرض ، حتى لا تجب عليّ الصلاة في جماعة »[4] 0

وقال الطوسي : « بلغني عن أبي عبد الله الصبيحي[5]: أنه لم يخرج ثلاثين سنة ، من بيت تحت الأرض »[6]

---

[1] - علي الكـردي الموله المقيم بظـاهر بـاب الجابية ، وقد اختلفـوا فيه ؛ فبعض الدماشـقة يزعم أنه كان صاحب كرامات ، وأنكر ذلك آخرون ، وقالوا : ما رآه أحد يصلي ، ولا يصــوم ، ولا لبس مداساً ، بل كان يدوس النجاسات ويدخل المسجد على حاله ، توفي سنة 622هـ 0[البداية والنهاية ، 13/ 127]

[2] - جامع كرامات الأولياء ، 2/ 332

[3] - جامع كرامات الأولياء ، 1/ 227 ، والصوفي هو : محمد بن أبي حبرة 0

[4] - طبقات الشعراني ، 1/ 70

[5] - الحسـن بن عبد الله بن بكر ، وكنيته أبو عبد الله ، كـان من أهل البصــرة ، وقيل إنه لم يخرج من سرداب في داره ثلاثين سنة ، يجتهد ويتعبد ، أخرجه أهل البصرة منها فخــرج إلى السوس وبها مات 0 [طبقات الصوفية ، ص 329]

[6] - اللمع ، ص 500

وذكر النبهاني أن ابن دقيق العيد[1] ، اجتمع بالبدوي ، وقال له : «إنك لا تصلي ، وما هذا من سنن الصالحين ، فقال : اسكت وإلا أغبر دقيقك!
ودفعه فإذا هو بجزيرة متسعة جداً ، فضاق ذرعه ، حتى كاد يهلك ، فرأى الخضر ، فقال : لا بأس عليك ، إن مثل البدوي لا يعترض عليه!!»[2]

وقال الطوسي عن طائفة من الصوفية : « وطائفة اعتزلت ودخلت كهوف الجبال ، وظنوا أنهم يهربون من الخلق أو يأمنون في الجبال والفلوات من شر نفوسهم ، أو يوصلهم الله تعالى بالانفراد والخلوة ، إلى ما أوصل إليه أولياءه من الأحوال الشريفة ، ولا يوصلهم إلى ذلك بين الناس » [3] 0

وقد أحدثت الصوفية صلوات ، لم تكن مشروعة ، ولم يرد الخبر الصحيح بمشروعيتها ، وفي طليعة تلك الصلوات ؛ صلاة الرغائب ، فقد ذكر الغزالي صفتها ، والفوائد التي تعود على من يصليها ، فقال : « أما صلاة رجب : فقد روي بإسناد عن رسول الله -ﷺ- أنه قال: « ما من أحد يصوم أول خميس من رجب ، ثم يصلي فيما بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة ، يفصل بين كل ركعتين بتسليمه ، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة ، وإنا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات ، وقل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة ، فإذا فرغ من صلاته صلى عليّ سبعين مرة يقول : اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله ، ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة : سبوح قدوس رب الملائكة والروح ، ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة : رب اغفر وارحم ، وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم ، ثم يسجد سجدة أخرى ، ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الأولى ، ثم يسأل حاجته في سجوده فإنها تقضى » ، قال رسول الله -ﷺ- : "لا يصلي

---

[1] - علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة مجد الدين القشيري المنفلوطي القوصي المعروف بابن دقيق العيد ، ولد برمضان سنة 581هـ ، وحفظ القرآن وسمع الحديث ، وكان كثير التقشف ، توفي في ثالث عشر محرم ، سنة سبع وستين وستمائة ، مات بظاهر قوص وقبره مشهود 0[الكواكب الدرية ، 2/139]

[2] - اللمع ، ص 525 0 لم يرد في الشرع حرمة الاعتراض على غير المعصوم -ﷺ- ، ولكن بعض الصوفية ، زعموا ذلك لضعف حجتهم ، ووضوح بدعتهم ، وانكشاف زلتهم 0

[3] - اللمع ، ص 527 - 528

أحد هــذه الصــلاة إلا غفر الله تعــالى له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ، وعدد الرمل ، ووزن الجبال ، وورق الأشجار ، ويشـفع يـوم القيامة في سـبعمائة من أهل بيته ممن قد استوجب النار" [1] 0 فهـذه صـلاة مسـتحبة »[2] 0

المطلب الثــاني : جهــود علمــاء الســلف ، في القرن الثامن الهجري، تجاه
البدع في الصلاة عند الصوفية 0

الصلاة عمود الإسلام ، وآكد أركانه بعد الشهادتين ، من تركها أو تهاون بها ، ناله الخذلان والخسران في الدنيا والآخرة ، وكانت آخر وصايا الرسول الكريم -ﷺ- ، عنـدما فـارق الـدنيا ، الحث على التمسك بها والمحافظة عليها ، وكـان فرضـها في السـماوات ، ومع هـذه المكانة للصـلاة في الإســـلام ، نجد من الصـــوفية من تهـــاون بها ، بل وبعضهم تركها بالكلية ، كما أشار إلى ذلك علماء السـلف 0

[1] - قـال العـراقي : حـديث: «ما من أحد يصـوم أول خميس من رجب 000الحـديث» في صــلاة الرغــائب ، أورده رزين في كتابه ، وهو حــديث : موضــــوع 0 [المغــني عن حمل الأسفار ، بهامش الإحياء 1/ 238]

[2] - الإحياء ، 1/ 237- 238 0 قال العراقي : حديث: «ما من أحد يصوم أول خميس من رجب 000الحديث» في صلاة الرغائب ، أورده رزين في كتابه ، وهو حديث : موضـــوع 0 [المغني عن حمل الأسفار ، بهامش الإحياء 1/ 238]

قال ابن كثير في ترجمة الصوفي إبراهيم القميني : «وربما كاشف بعض العوام ، ومع هذا لم يكن من أهل الصلاة ، وقد استتابه الشيخ تقي الدين ابن تيميه ، وضربه على ترك الصلوات ، ومخالطة القاذورات»[1]

وقال الذهبي عن هذا الصوفي : « كان للناس في هذا اعتقاد زائد، لما يسمعون من مكاشفته التي تجري على لسانه كما يتم للكاهن 000كان يأوي إلى القمامين والمزابل التي هي مأوى الشياطين ، ويمشي حافياً ، ويكنس الزبل بثيابه النجسة ببوله ، وقد رأيت غير واحد من هذا النمط الذين زال عقلهم أو نقص ، يتقلبون في النجاسات ، ولا يصلون»[2]

وقد بيّن ابن كثير حال بعض الصوفية المنحلين ، الذين أفسدوا كثيراً من الخلق ، بتركهم للفرائض وارتكاب المحرمات ، فقال في ترجمة الحريري : «كان عند هذا الحريري من الاستهزاء بأمر الشريعة والتهاون فيها من إظهار شعائر أهل الفسوق والعصيان شيء كثير ، وانفسد بسببه جماعة كبيرة من أولاد كبراء دمشق ، وصاروا على زي أصحابه ، وتبعوه بسبب أنه كان خليع العذار 000وترك الإنكار على أحد فيما يفعله ، وترك الصلوات ، وكثرت النفقات ، فأضل خلقاً كثيراً ، وأفسد جماً غفيراً »[3]

وقال في ترجمة الصوفي ، علي الكردي : « قالوا : ما رآه أحد يصلي»[4]

وقال الذهبي واصفاً الحريري : « كبير الفقراء البطلة »[5]

وقال كذلك : « قرأت بخط السيف الحافظ : كان الحريري من أفتن شيء وأضره على الإسلام ، تظهر من الزندقة والاستهزاء بالشرع ، بلغني من الثقات أشياء يستعظم ذكرها من الزندقة والجرأة على الله ، وكان مستخفاً بأمر الصلوات »[6]

---

[1] - البداية والنهاية ، 14/ 535
[2] - السير ، 23/ 302-303
[3] - البداية والنهاية ، 13/ 205
[4] - البداية والنهاية ، 13/ 127
[5] - السير ، 23 / 224
[6] - السير ، 23/ 225

وقال ابن كثير ، مبيناً حال الصوفي ، إبراهيم الشاغوري[1]: « الموله المعروف بالجيعانة ، كان مشهوراً بدمشق ، ويذكر له أحوال ومكاشفات على ألسنة العوام ومن لا يعقل ، ولم يكن ممن يحافظ على الصلوات » ، إلى أن قال : «وكان لا يصلي ولا يتقي نجاسة »[2] 0

وقال كذلك في ترجمة الصوفي، سليمان التركماني[3]: «الموله الذي يجلس على مصطبته بالعليين 000وكان لا يتحاشى من النجاسات و لايتقيها ، ولا يصلي الصلوات ولا يأتيها000»[4]

وقد تهاون بعض الصوفية ، في أداء صلاة الجماعة ، وكذا صلاة الجمعة ، فرد علماء السلف ، على باطلهم ، وبينوا أن ذلك من علامات الخسران 0

قال الذهبي في ترجمة الباجريقي[5]: «الضال الزنديق 000حصل له حال وكشف ما ، وانقطع 0 فصحبه جماعة من الرذالة ، وهون لهم أمر الشرائع 000وحكي عنه التهاون بالصلوات »[6]

وقال عن أصحاب الباجريقي ، بعد موته : « وكان أصحابه يقصدون قبره يوم الجمعة ، ويتركون صلاة الجمعة»[7]

وبيّن ابن مفلح أن صلاة الجمعة : « فرض عين ،على المسلمين الرجال المكلفين »[8]

بل إن الذهبي ، عد ترك صلاة الجمعة ، من دون عذر من كبائر الذنوب [9]

---

1 - إبراهيم بن سعيد الشاغوري ، ذكره الذهبي في وفايات سنة 680 هـ 0 [البداية والنهاية 13/343]

2 - البداية والنهاية ، 13/ 343- 344

3 - سليمان التركماني ، مات سنة 714 هـ ، ودفن بباب الصغير في يوم كثير الثلج 0 [البداية والنهاية 14/483]

4 - البداية والنهاية ، 14/ 483-484

5 - محمد بن المفتي الكبير جمال الدين عبد الرحيم بن عمر الباجريقي الجزري الشافعي ، ضال زنديق حُكم بإراقة دمه لزندقته 0 [ذيل تاريخ الإسلام ص 265]

6 - ذيل تاريخ الإسلام ، ص 265

7 - ذيل تاريخ الإسلام ، ص 266

8 - الفروع للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن مفلح ، تحقيق أبي الزهراء حازم القاضي ، ط1 ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1418هـ) ، 1/ 72

9 - كتاب الكبائر وتبيين المحارم ، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد الذهبي ، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه محي الدين مستو ، ط3 ، (دمشق ، بيروت : دار ابن

وقد بيّن ابن أبي العز ، ضلال وخطأ من ترك الجمع والجماعات، وتعبد بالرياضـات والخلـوات ، بقوله : « وأما الـذين يتعبـدون بالرياضـات والخلـوات ، ويـتركون الجمع والجماعات ، فهم من الذين ضل سعيهم في الحياة الـدنيا ، ويحســبون أنهم يحســنون صــنعاً ، وقد طبع الله على قلـوبهم ، كما قد ثبت عن النـبي -ﷺ- ، أنه قـال : « من ترك ثلاث جمع تهاونـاً ، من غـير عـذر طبع الله على قلبه »[1]

وذكر أن اتباع السنة هو المنجي ، ومن خالفها فهو من المغضــوب عليهم إن كــان عالمــاً ، وإلا فهو من الضالين [2] 0

وأما موقف علماء السلف ، في القـرن الثـامن الهجري ، من صلاة الرغائب التي ابتـدعها الصـوفية ، فهو موقف الــرافض لها ؛لأنها صــلاة مبتدعة ، ليس لها أصل في الشرع 0

قال ابن كثير في ترجمة أبو الحسن الجهضمي [3]: «الصوفي المكي ، صـاحب بهجة الأسـرار [4] ، كـان شـيخ الصوفية بمكة وبها توفي0

كثير ، 1407هـ) ، ص 168

[1] - حـديث صـحيح ، لكنه ليس في الصـحيح كما ذكر ابن أبي العز ، فقد أخـرج أبو داود في سـننه ، أن رسـول الله -ﷺ- قـال : «من تـرك ثلاث جمع تهاونـاً بها طبع الله على قلبه » 0 كتاب الصلاة باب التشديد في ترك الجمعة ، 1/277 حديث رقم 1502 ، وكذلك في سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي ، وحاشية الإمـام السـندي ، اعتـنى به ورقمه ووضع فهارسه عبد الفتاح أبو غدة ، ط4(بيروت دار البشائر الإسلامية ، 1414هـ) ، بـاب التشديد في التخلف عن الجمعة ، 3/88 ، وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص 773 0

[2] - انظر: شرح العقيدة الطحاوية ، 773- 774 ، و الفتاوى 10 / 425 0
وانظر في وجوب الصلاة وصلاة الجماعة وفضلهما ، وعقوبة تاركهما :
الموافقـات 1/ـ 213-215 و اختيـار الأولى في شـرح اختصـام الملأ الأعلى ، ابن رجب الحنبلي ،حققه وخـرج أحاديثه محمد عيـون ، ط2، (دمشق ، بـيروت : مكتبة دار البيـان ، الرياض : مكتبة المؤيد ، 1413هـ) ، ص29 ، والآداب الشرعية ، 1/ 171، و الفروع ، 1/ 515-516 ، وإحكام الأحكام شرح عمدة الأحكاك للإمام تقي الدين أبي الفتح ، الشهير بان دقيق العيد ،(بـيروت : دار الكتب العلمية) ، 1/ـ 157 و2/ـ 125 ، و الأوامر والنـواهي ، تـأليف الإمـام أبو علي حسـين بن المبـارك الصـيرفي ، تحقيق مركز البحـوث والدراسـات بمكتبة نزار البـاز ، ط1 ، (لريـاض : مكتبة البـاز ، 1417هـ) ، ص 100، 149 ، 184، والمسائل الفقهية ، لأبي علي عمر بن قداح الهواوي ، دراسة وتحقيق د: محمد أبو الأجفـان ، 0 مالكا : فاليتا ، 1996م) ، ص6 8

[3] - علي بن عبد الله بن جهضم أبو الحسن الصـوفي المكي ، صـاحب بهجة الأسـرار ، كـان شيخ الصوفية بمكة ، وبها توفي سنة 414هـ 0[البداية والنهاية 12/455]

[4] - بهجة الأسرار ، كتاب في أخبار الصوفية ، يأتي فيه بمصائب ، كما أشار إلى ذلك الـذهبي فـي السـير، توجد منه نسـخة خطية ، في الظاهرية بدمشق ، مجمـوع رقم (66/ـ 4)ـ ، (السير 17/ 276 الهامش)

قال ابن الجوزي[1] : وقد ذكر أنه كان كذاباً ، ويقال إنه الذي وضع حديث صلاة الرغائب »[2]

وقال الذهبي في ترجمة : « علي بن عبد الله بن جهضم ، الزاهد أبو الحسن ، شيخ الصوفية بحرم مكة ، ومصنف كتاب بهجة الأسرار ، متهم بوضع الحديث 000اتهموه بوضع صلاة الرغائب »[3]

وقال الذهبي في صلاة الرغائب :« 000الحديث موضوع، لا يُعرف إلا من رواية ابن جهضم ، وقد اتهموه بوضع الحديث »[4]

وقال كذلك عن ابن جهضم : « ليس بثقة ؛ بل متهم ، يأتي بمصائب »[5] 0

وأكد شيخ الإسلام ابن تيميه ، أن صلاة الرغائب ، صلاة محدثة ، لا أصل لها في الشرع ، فقال: « وأما صلاة الرغائب فلا أصل لها ، بل هي محدثة ، فلا تستحب ، لا جماعة ، ولا فرادى ، 000والأثر الذي ذكر فيها كذب موضوع باتفاق العلماء ، ولم يذكره أحد من السلف والأئمة أصلاً»[6] 0

وقال أيضاً : «صلاة الرغائب بدعة باتفاق أئمة الدين ، لم يسنها رسول الله -- ولا أحد من خلفائه ، ولا استحبها أحد من أئمة الدين 000والحديث المروي فيها كذب بإجماع أهل المعرفة بالحديث »[7] 0

وقال ابن رجب في صلاة الرغائب : « فأما الصلاة فلم يصح في شهر رجب صلاة مخصوصة به، والأحاديث المروية في فضل صلاة الرغائب في أول ليلة جمعة في شهر رجب كذب وباطل لا تصح ، وهذه الصلاة بدعة عند

---

[1] - المنتظم ـ 8/14
[2] - البداية والنهاية ـ 12/ 455
[3] - ميزان الاعتدال 5/ 172
[4] - تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ، 401-420) ، ص 351
[5] - السير ، 17 / 276
[6] - الفتاوى ، 23 / 132
[7] - الفتاوى 23/ 134، وانظر: الفتاوى الكبرى للإمام ابن تيميه تحقيق وتعليق وتقديم محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، ط1 ـ (القاهرة : دار الريان للتراث ، 1408هـ) ـ 2/ 260

جمهــور العلمــاء 000وأول ما ظهــرت بعد الأربعمائــة؛ فلذلك لم يعرفها المتقدمون ولم يتكلموا فيها »[1] 0

وقال ابن القيم في صلاة الرغائب : « 000أحاديث صــلاة الرغــائب ليلة أول جمعة من رجب ، كلها كــذب مختلق على رســول الله- ﷺ -»[2] 0

المبحث الثالث : جهود علماء السلف في القــرن الثـامن الهجـري تجـاه ، البـدع في الصـوم ، عند الصوفية 0

المطلب الأول : البدع في الصـوم عند الصـوفية 0

لقد ابتدع الصوفية في الصوم ، كما ابتدعوا في غيره من العبــادات، ومـن أظهر البــدع ،الــتي تلبس بها ، بعض الصوفية في الصوم ، ترك الصـوم كليـاً ، وصـوم الـدهر ، والوصال0

فقد زعم بعض الصوفية ، أن الصوم قد حط عنه ، وأنه غير مطالب بالصوم ، مثل سائر الأمة 0

فقد ذكر الشعراني ، ذلك في ترجمته للشريف المجــذوب ، فقــال: « كــان ســاكناً تجــاه المجــانين بالمارستان المنصوري ، وكان له كشف ومثـاقلات للنـاس الــذين ينكــرون عليه ، وكــان يأكل في نهــار رمضــان ، ويقول: أنا معتوق أعتقـني ربي ، وكـان كل من أنكر عليه يعطبه في الحال»[3] 0

---

[1] -لطائف المعارف فيما للمواسم من الوظائف تأليف الإمـام زين الـدين بن رجب الحنبلي ، ط1 ، (بيــروت : المكتب الإسلامي ، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ، 1414 هـ)، ص 131

[2] -المنار المنيف ، ص 76

[3] - طبقـات الشـعراني ، 2/ـ 150 ، وانظر ترجمته في ذات الجـزء والصـفحة ، فلم يـذكر الشعراني تاريخ ولادته ووفاته 0

ومن الصوفية من يفطر في نهار رمضان ، دون عذر شرعي ، فقد أورد الهجـويري : « عن أبي يزيد ، أنه كـان قادماً من الحجاز ، فنودي في المدينة أن أبا يزيد قد جـاء 0

فخرج الناس لاستقباله ، وأدخلوه المدينة بإكرام ، ولما انشغل بمجـاملتهم ، تخلف عن الحق وتشـتت ، فلما دخل السوق ، أخرج من كمه

رغيفاً ، وأخذ في أكله ، ـ وكان ذلك في شهر رمضان ـــ ، فرجع الناس جميعاً عنه وتركوه وحده »[1] 0

وقد بيّن الهجويري أن هذه الحالة وأمثالها ، ليست حالة فردية بين الصــوفية ، بل الأمر منتشر في عصــره ، حين قــال : « وأما من كــان طريقه الــترك ، ويختــار ما يخالف الشـريعة ، ويقـول : إنـني أسـلك طريق الملامة ، فتلك ضـلالة واضـحة ، وآفة ظـاهرة ، وجنـون صـادق ، ـــ على نحو ما يوجد عليه كثيرون في هذه الأيام ـ »[2]

أما البدعة الأخرى ، التي اعتاد بعض الصوفية فعلها ؛ صيام الدهر0

قال الشعراني : « كان ابن الصباغ[3] ، حافظـاً للمـذهب ، صائم الدهر»[4]

وقال : « كان الإمام محمد النيسابوري [5]، يصلي طوال نهاره ، ويصوم الدهر »[6]

والبدعة الأخرى ، التي درج عليها بعض الصوفية ، صــــيام الوصــــال، فقد أورد الطوسي حكاية عن ســــهل التستري : « أنه كان يأكل في كل خمسة عشر يوماً مرة ، فإذا دخل رمضان لم يأكل فيها إلا أكلة واحدة »[7] 0

وذكر حكاية أخرى ، عن صوفي آخر ، قريبة لما ذكر عن سهل التستري ، فقال :« حكي عن أبي عبيد البسري

---

1 - كشف المحجوب ، ص 262
2 - كشف المحجوب ، ص 263
3 - لم يعرفه الشعراني 0
4 - طبقات الشعراني ، 2/ 188
5 - محمد بن أحمد النيسابوري ، توفي 360 هـ 0 [طبقات الشعراني 1/ 125]
6 - طبقات الشعراني ، 2/ 189
7 -اللمع ، ص 217

[1]، أنه كـــان إذا دخل رمضـــان ، دخل الـــبيت وسد عليه البـاب ، وقـال لامرأته : اطـرحي كل ليلة رغيفـاً من كـوة في البيت ، و لا يخرج منه حـتى يخـرج رمضـان ، فتـدخل امرأته الـبيت ، فـإذا الثلاثـون رغيفـاً موضـوعة في ناحية البيت »[2]0

وقال الهجويري : « حين توفي العالم أبو محمد البـاثغري[3] ، كنت حاضــراً هنـاك ، وكـان قد مضى عليه ثمانون يوماً لم يطعم فيها شيئاً »[4]

وقال أيضاً : « رأيت درويشاً من المتأخرين ، لم يأكل قط مدة ثمانين يوماً »[5] 0

ثم بيّن الهجويري موقفه من صيام الوصال ، فقال : «والجهال يتمسكون بأن صوم الوصال غير جائز »

ثم قال : « اعلم أن صوم الوصال ، من غير أن يتأتى خلل في أمر الله ـ عز وجل ـ : كرامة »[6]

المطلب الثـاني : جهـود علمـاء السـلف ، في القرن الثـامن الهجـري، تجـاه البـدع في الصـوم عند الصوفية 0

لاشك أن بعض الصوفية قد ابتلى بإحداث البدع ، ومخالفة النهج الصـحيح ، ومما أحدثه الصـوفية من البـدع في الصوم ، ترك صوم شهر رمضان مع المسلمين 0

فقد بيّن ابن كثير حال بعض أولئك الصوفية ، عند ما قال في ترجمة الصـوفي علي الكـردي : « قـالوا: ما رآه أحد يصلي ، ولا يصوم»[7]

---

1 - أبو عبيد البسري من قدماء المشـايخ ، صـحب أبا تـراب 0 [صـفوة الصـفوة ـ 4/204 ـ وطبقات الشعراني ، 1/90]

2 - اللمع ، ص 217

3 - من معاصري الهجويري ، كان فقيهاً 0 [كشف المحجوب ـ ص 319]

4 - كشف المحجوب ، ص 568

5 -كشف المحجوب ـ ص 568

6 -كشف المحجوب ـ ص 568

7 - البداية والنهاية ـ 13/ 127

وقال الذهبي في ترجمة الصوفي يوسف القميني : « وقد رأيت غـير واحد من هـذا النمط 000لا يصـلون ولا يصومون وبالفحش ينطقون»[8]

وقـد شبههم الذهبي ، بمسيلمة الكذاب ، والأسود العنسي حيث قـال : « فوالله ما ارتبطـوا على مسـيلمة والأسود إلا لإتيانهم بالمغيبات »[2]

وقال ابن كثير عن الصوفي ، إبراهيم الشاغوري : « ولا يصوم مع الناس » [3]

واعتبر شـيخ الإسـلام أن هـذا الفعل من كبـائر الذنوب الموجبة لأقسى العقوبات [4]

وبيّن في موضع آخر أن من : « أفطر في رمضــــــان مسـتحلاً لـذلك ، وهو عـالم بتحريمه اسـتحلالاً له ، وجب قتله ، وإن كان فاسـقاً عـوقب عن فطـره في رمضـان ، بحسب ما يراه الإمام »[5]

وأما ما يفعله بعض الصوفية من صوم الدهر ، فهو مخالف لهـدي الإسـلام ، وسـنة خـير الأنـام ،- عليه أفضل الصـــلاة وأزكى ســـلام - ،وقد أشـــار ابن رجب إلى ذلك بقوله : « كان رسـول الله -ﷺ- ينكر على من يسـرد صـوم الـــدهر ، ولا يفطر منه ، ويخـــبر عن نفسه -ﷺ- أنه لا يفعل ذلك»[6]

ففي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن النبي -ﷺ- قال له : « أتصوم النهار وتقـوم الليل » ؟! 0

قال : نعم 0

فقال النبي -ﷺ- : « لكـني أصـوم وأفطر ، وأصـلي وأنـام ، وأمس النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني »[7]

---

[8] - السير ، 23/ 303
[2] - انظر : السير 23/ 303
[3] - البداية والنهاية ، 13 / 343
[4] - الفتاوى ، 25/ 225
[5] - الفتاوى الكبرى ، 2/ 473
[6] - لطائف المعارف ، ص 137
[7] - أخرج البخاري في صحيحه كتاب الصوم بـاب حق الجسم في الصـوم 2/51 حـديث رقم 1975 ، ومسلم في صحيحه كتاب الصيام باب النهي عن صيام الدهر 2/812 حديث رقم 1159 0 عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما - : قال لي رسول الله -ﷺ- : « يا عبد الله : ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ » فقلت : بلى يا رسول الله 0 فقال : « فلا تفعل 0 صم وأفطر وقم ونم ، 000» الحديث

وأوضح ابن رجب أن النبي -- قد أشار إلى الحكمة في ذلك من وجوه ، منها : قوله -- في صيام الدهر « لا صام ولا أفطر »[1] ، يعني أنه لا يجد مشقة الصيام ، ولا فقد الطعام والشراب والشهوة ؛ لأنه صار الصيام له عادة مألوفة ، فربما تضرر بتركه فإذا صام تارة ، وأفطر أخرى حصل ، له بالصيام مقصوده بترك الشهوات ، وفي نفسه داعية إليها ، وذلك أفضل من أن يتركها ونفسه لا تتوق إليها[2] 0

ومنها : قوله -- ، في حق داود -- : « كان يصوم يوماً ، ويفطر يوماً ، ولا يفر إذا لاقى »[3]

يشير إلى أنه كان لا يضعفه صيامه ، عن ملاقاة عدوه ، ومجاهدته في سبيل الله 0

ومنها: ما أشار إليه -- ، بقوله : « إن لنفسك عليك حقاً ، فأعط كل ذي حقاً حقه »[4]

يشير إلى أن النفس وديعة عند ابن آدم ، وهو مأمور أن يقوم بحقها ، ومن حقها اللطف بها [5] 0

وقال ابن مفلح : « يكره صوم الوصال ، إذا أدخل فيه يومي العيدين وأيام التشريق ، 000والكراهة كراهة تحريم»[6]

وقد بيّن الشاطبي ، أن صيام النهار وقيام الليل-بصفة دائمة ومستمرة -، منهي عنه ، ومخالف لهدي الرسول الكريم-- لما فيه من الشدة التي خففها الله عن أمة الإسلام[7]

وأما صوم الوصال ، فقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيميه ، أنه مكروه، فقال : « وأما من تدبر أصول الشرع ومقاصده ، فإنه رأى الشارع لما أمر بالصوم ، أمر فيه بالاعتدال ، حتى كره الوصال ، وأمر بتعجيل الفطر ، وتأخير السحور ، وجعل أعدل الصيام وأفضله صيام داود»[8]0

---

[1] - صحيح مسلم كتاب الصيام باب صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، 2/819 حديث رقم 1162

[2] - لطائف المعارف ، ص 138

[3] - صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب قوله تعالى] وآتينا داود زبوراً[، 2/418 ، حديث رقم 3419

[4] - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصوم باب حق الأهل في الصوم 2/52 حديث رقم 1977 بلفظ : « 00فإن لعينيك عليك حظاً وإن لنفسك وأهلك عليك حظاً» 0

[5] - انظر : لطائف المعارف ،ص 138-139

[6] - الفروع ، 3/ 85

[7] - انظر : الموافقات ، 1/ 522-523

[8] - الفتاوى ، 20 / 528

وقال الذهبي ، في ترجمة الأبهري : « قيل إنه عمل له خلوة ، فبقي خمسين يوماً لا يأكل شيئاً 0

وقد قلنا - القائل الذهبي - : إن هذا الجوع المفرط لا يسوغ ، فإذا كان سرد الصيام والوصـال ، قد نهي عنهما ، فما الظن ؟ وقد قـال نبينا -ﷺ-: « اللهم إني أعـوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع »[1]

وقال ابن كثير : « كان الوصال في الصيام له - أي للرســول - ﷺ - مباحــاً ، ولهــذا نهى أمته عن الوصــال ، فقالوا : إنك تواصل ؟

قـال : « لست كأحـدكم إني أبيت عنـدي ربي ، يطعمـني ويسقيني»[2]

فقطع تأســيهم به ، بتخصيصه بــأن الله تعــالى يطعمه ويسقيه »[3]

وقال ابن مفلح : « يكره الوصـال ، وهو أن لا يفطر بين يومين ؛ لأن النهي رفق ورحمة 000وقيل يحرم »[4]

---

[1] - السير ، 17 / 576 ، والحديث أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة باب الاستعاذة ، 2/91 حديث رقم 1547والنسائي كتاب الاستعاذة باب الاستعاذة من الجوع 8/263 حـديث رقم 5468 ، وسنده حسن ، انظر : فيض القدير بشرح الجامع الصغير 2/124

[2] - أخرج البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام بالكتـاب والسـنة بـاب الوصـال 2/48 حـديث رقم 1963 ، قـال رسـول الله -ﷺ- : « إني لست كهـيئتكم إني أبيت لي مطعم يطعمـني وساق يسقيني» ومسلم في صحيحه كتاب الصـيام بـاب النهي عن الوصـال 2/776 حـديث رقم 1105 ، ما نصه : « وأيكم مثلي ؟ إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني »

[3] - الفصـول في سـيرة الرسـول ﷺ ،تـأليف الحافظ أبي الفـداء إسـماعيل ابن كثـير ، تحقيق وتعليق محمد العيد الخطـراوي ، ومحي الـدين مسـتو ، ط4 ، (دمشق : دار ابن كثـير ، المدينة المنـورة : دار الـتراث ، 1405 هــ) ، ص 316، وانظـر: الموافقـات ، 4/ـ 101 ، تفسير القرآن العظيم 1/ 230

[4] - الفروع ، 3/ 86 ، وانظر: الموافقات ، 5/ 277 0
وقد رد على من يصـوم الوصـال ابن دقيق العيد وبيّن أنه لا يحصل على ثـواب الصـوم ، إذ قال : « امتناع الوصال بمعـنى الصـوم الشـرعي ، لا بمعـنى الإمسـاك الحسي ، وإن أمسك حسـاً فهو مفطر شـرعاً ، وفي ضـمن ذلك إبطـال فائـدة الوصـال شـرعاً ، إذا لا يحصل به ثواب الصوم » (إحكام الأحكام، 2/ 232-233)

المبحث الرابع : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه، البدع في الحج ، عند الصوفية 0

المطلب الأول : البدع في الحج عند الصوفية 0

لقد استخف بعض الصوفية بالحج ، كما استخفوا بغيره من العبادات المفروضة ، فزعم بعضهم أن الكعبة تطوف به ، وزعم آخرون أن الطواف حول البشر يغني عن الطواف حول الكعبة 0

قال أبو يزيد البسطامي : « خرجت إلى الحج ، فاستقبلني رجل في بعض المتاهات ، فقال : أبا يزيد إلى أين ؟
قلت : إلى الحج 0 فقال: كم معك من الدراهم ؟
قلت : معي مئتا درهم 0 فقال : طف حولي سبع مرات ، وناولني المائتي درهم ، فإن لي عيالاً ، فطفت حوله وناولته المائتي درهم »[1]

وقال النبهاني نقلاً عن ابن عربي : « إن الكعبة كلمته ، وكذلك الحجر الأسود ، وأنها طافت به ثم تلمذت له ، وطلبت منه ترقيتها إلى مقامات في طريق القوم ، فرقاها لها ، وناشدها أشعاراً وناشدته 000» ، فعلق النبهاني على هذا القول : «وحاشا أولياء الله أن يخبروا بخلاف الواقع »[2]

وقال ابن عربي : « ولقد نظرت يوماً إلى الكعبة ، وهي تسألني الطواف بها »[3]

وقال أيضاً : « وكانت بيني وبين الكعبة ، في زمان مجاورتي بها ، مراسلة وتوسلات ومعاتبة دائمة »[4] 0

---

[1] - دراسات في التصوف ، إحسان إلهي ،قدم له فضيلة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان ، ط1، (باكستان : لاهور، الناشر إدارة ترجمان السنة ، 1409هـ 0) ، ص 103 ، نقلاً عن : النور من كلمات أبي طيفور للسهلجي ، ص 164 ، وتذكرة الأولياء (أردو) ، لفريد الدين العطار (طبعة باكستان ، ص 82)

[2] - جامع كرامات الأولياء ، 1/ـ 201 0وقلت : وحاشا لله أن يجعل كعبته المشرفة وبيته العتيق ، في مثل هذا الموقف أو المقام ، ولعمري إنها لإحدى الكبر0

[3] - الفتوحات المكية ، 1/ 833

[4] - الفتوحات المكية ، 1/ـ 834 ، وقد أشار ابن عربي إلى أنه أودع هذه المعاتبات والتوسلات ، في جزء سماه (تاج الرسائل ومنهاج الوسائل) لم أقف عليه 0 (انظر :

المطلب الثـاني : جهـود علمـاء السـلف في القرن الثامن الهجري، تجـاه البـدع في الحج عند الصوفية 0

استهزأ بعض الصوفية بالحج ، واستخفوا بما يؤديه الحاج من أعمال الحج في رحاب البيت العتيق والمشـاعر المقدسة ، بل منهم من لا يرى أداء فريضة الحج ، ومنهم من يشبه الطائفين بالبيت العتيق بالحمير!0

نقل بن كثير عن الصوفي علي الكردي أنه : «مر يوماً على الخطيب جمال الـدين الـدولعي 0 فقـال لـه: يا شـيخ علي أكلت اليـوم كسـرات يابسة ، وشـربت عليها الماء فكفتني ، فقال له الشيخ علي الكـردي : وما تطلب نفسك شيئاً آخر غير هذا ؟ قال: لا 0 فقـال : يا مسـلمين من يقنع بكسرة يابسة يحبس نفسه في هذه المقصورة ، ولا يقضي ما فرضه الله عليه من الحج» [1] 0

فهذا أيضاً من مزاعم الصوفية الباطلة ، فمنهم من لا يتورع عن مثل هذا القول ، ويستخف بما شرع الله من الدين ، وبلغة رسوله الأمين -0 -

وقال في ترجمة ابن سـبعين : « كـان إذا رأى الطائفين حول البيت ، يقول عنهم : كـأنهم الحمـير حـول الماء ، وأنهم لو طافوا به كان أفضل من طوافهم بـالبيت ، فالله يحكم فيه وفي أمثاله ، وقد نقلت عنه عظـائم من الأقوال و الأفعال »[2]

الفتوحات المكية ، 1/ 834)

[1] - البداية والنهاية ، 13/ 127-128

[2] - البداية والنهاية ، 13/303

وبيّن ابن أبي العز ، ضلال من ادعى من الصوفية أن الكعبة تطوف به، فقال : « 000وكذا من يقول بأن الكعبة تطوف برجال منهم حيث كانوا !! ، فهلا خرجت الكعبة إلى الحديبية فطافت برسول الله -- حين أحصر عنها وهو يود منها نظرة ؟!»[1] 0

فالرسول الكريم -- أكرم الخلق عند الله ، وصحابته الكرام -- ، هم أفضل الأمة ، ومع ذلك لم تطف بهم الكعبة المشرفة ، ولم تتوسل بهم ، كما يزعم ضلال الصوفية، المنحرفون عن الدين القويم ، والفطرة السوية ، وأضافوا إلى ذلك جراءتهم على الله - سبحانه - والكذب على رسوله -- 0

المبحث الخامس : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه، البدع في الدعاء ، عند الصوفية 0

المطلب الأول : الشركيات في الدعاء عند الصوفية 0

من أشهر البدع ، التي أحدثها الصوفية في الدعاء ، دعاء غير الله ، والتوجه بدعائهم إلى بعض الأشخاص الأحياء والأموات ، الذين يعتقدون أن في مقدورهم ، جلب المصالح ، ودفع المفاسد 0

قال الطوسي : « إن علماء نواحينا يتبركون بتربة أبي يزيد ـــ رحمه الله ـــ ، إلى يومنا هذا ، ويحكون عن

---

[1] - شرح العقيدة الطحاوية ، 774-775

المشايخ المتقدمين أنهم كانوا يزورونه ، وكـانوا يتـبركون بدعائه ، وهو عنـــدهم من أجّل العبّـــاد والزهـــاد ، وأهل المعرفة بالله »[1] 0

ونقل الشعراني أن معروف الكرخي : « من جملة المشـايخ المشـهورين ، بالزهد والـورع والفتـوة ، مجـاب الدعوة ، يستشفى بقبره»0[2]

وذكر النبهاني عن الصرفندي [3] : « رؤي الصرفندي في المنام ، وهو يقول: زوروا شـيخي قبلي ، فـإني لست بشيء إلا به ، والدعاء عنده مستجاب» [4]

ونقل عن الرديني [5]: « 000أن من أتى إلى قبره ، وكان عليه دين ، فيقول : اللهم بما بينك وبين صاحب هذا القبر ، عبدك الرديـني ، إلا ما وفيت ديـني ، إلا اسـتجيب له »[6]

وقالوا عن قبر نفيسة بنت الحسن[7] : « وقبرها معروف بإجابة الدعاء ، عليه مهابة ونور ، مقصود للزيارة من كل جهة ، وأراد زوجها نقلها إلى المدينة ، ودفنها بالبقيع ، فسأله أهل مصر في تركها عندهم للتـبرك»[8] 0

ومن البدع التي أحدثها بعض الصوفية ، في الدعاء ، اجتماعهم للدعاء بهيئة خاصة ، بشكل جماعي 0

نقل النبهاني عن ابن القضاعي[9] : « قال : كنا بكهف السودان عشـية عرفة ، وقد اجتمعنا للـدعاء ، وقد طـابت النفـوس وخشـعت القلـوب ، وإذا بشـاب حسن الثيـاب والوجه على فـرس حسن الشـكل ، فجعل يلعب تحت المكـان ، فلما رآه الجماعة شـغلوا به عن الـدعاء والذكر والخشوع ، فقلت لأصحابي : إني أخـاف أن يكـون

---

1 - اللمع ، ص 473

2 - طبقات الشعراني ، 1/ 72

3 - هو: أبو الحسن علي الأرسوفي [جامع كرامات الأولياء 2/ 332]

4 - جامع كرامات الأولياء ، 2/ 332_333

5 - هو : أبو الحسن علي بن مـرزوق الرديـني ، مـات بمصر 0 [جـامع كرامـات الأوليـاء ، 2/333]

6 - جامع كرامات الأولياء ، 2/333

7 - نفيسة بنت الحسن ولـدت بمكة المكرمة سـنة خمس وأربعين ومائة ، ونشـأت بالمدينة في العبـادة والزهـادة ، تصـوم النهـار وتقـوم الليل ، وتـزوجت إسـحاق المـؤتمن بن جعفر الصادق ، فولدت منه القاسم وأم كلثوم ، ثم قـدمت مصر ، مـاتت في رمضـان سـنة ثمـان ومائتين0 [الكواكب الدرية ، 1/494]

8 - الكواكب الدرية ، 1/ 495

9 - أبو الحسن القضاعي المصري ، كان من أكابر مشـايخ مصر 0[جـامع كرامـات الأوليـاء 2/333]

هذا إبليس ، جـاءكم يقطع عليكم عبـادة الله ، وما اسـتتم كلامه حتى غاص في الأرض بفرسه»[1] 0

كذلك ابتدع بعض الطرقية الصوفية ، أدعية لم تكن مشـروعة ، في الـدين الحـنيف ، وإنما اسـتهوتهم البـدع ، فألفوا ما يريدون ، ومن هذه الأدعية التي ابتـدعوها ، ختم الشيخ الأكبر السيد بهاء الدين الشاة نقشبند، وصيغته : « الاسـتغفار خمسـاً وعشـرين مـرة ، أو خمس عشر ، أو عشـراً، أو خمسـاً ، ثم رابعة المرشد ، ثم الصـلاة على النبي -- مائة مـرة ، ثم تلاوة : يـاخفي الألطـاف أدركـني بلطفك الخفي ، خمسمائة مرة ، ثم الصلوات الشريفة ، أيضاً مائة مرة ، ثم قراءة ما تيسر من القرآن»[2]0

وبينوا أن من قرأ هذا الـدعاء ، أو ما يماثله من الأدعية التي ابتدعوها: « قضيت له الحاجـات وحصـلت له المـرادات ، ودفعت عنه البليـات ، ورفعت له الـدرجات ، وظهـــرت له التجليـــات ، ثم بعد قـــراءة الختم يطلب مقصودة ، ويسأل حاجته ، فإنها تقضي بـإذن الله تعـالى ، وجربه كثير ، وهو أعظم ركن[3]؟!، وأفضل ورد مخصوص بالطريقة النقشبندية 000فـإن أرواح المشـايخ ببركة هـذا الورد يعينون من استعان بهم»[4]0

المطلب الثـــاني : جهـــود علمـــاء الســـلف ، في القرن الثامن الهجـري ، تجـاه البـدع في الـدعاء عند الصوفية 0

رأى علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري ، أن ما أقدم عليه الصوفية ، من التوجه بالدعاء إلى غير الله ، كالشـيوخ وغـيرهم ، هو من البـدع المحدثة في الـدين ، والتي لاتتفق مع نصوص الشرع الحكيم 0

فقد شدد ابن رجب ، على أن هذا العمل باطل ، ولا يجـــوز التوجه بالـــدعاء إلا إلى الله ، لأن دعـــاء الله هو

[1] - جامع كرامات الأولياء ، 2/ 333، وانظر : تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب ، تأليف محمد أمين كردي ، خـرج أحاديثه نجم الـدين أمين كـردي ،(بـيروت : دار الفكر ، 1415هـ 0) ص452

[2] - تنوير القلوب ، ص 452

[3] - فأين مكان الشهادتين والصلاة ، وغيرهما من أركان الإسلام ، عند هؤلاء القوم ؟!0

[4] - تنوير القلوب ، ص 450

المتعين ، وليس سواه ، فقال : «اعلم أن سؤال الله - عزوجل - دون خلقه هو المتعين ؛ لأن السؤال فيه إظهار الذل من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار ، وفيه الاعتراف بقدرة المسئول على رفع هذا الضر ، ونيل المطلوب ، وجلب المنافع ودرء المفاسد0
لا يصل الذل والافتقار ، إلا إلى الله وحده ؛ لأنه حقيقة العبادة»[1]

وفرّق ابن أبي العز ، بين الدعاء المشروع والممنوع ، بقوله : « فإن قيل : فأي فرق بين قول الداعي : « بحق السائلين عليك » ، وبين قوله : «بحق نبيك » أو نحو ذلك 0
فالجواب : أن معنى قوله : « بحق السائلين عليك » ، أنك وعدت السائلين بالإجابة ، وأنا من جملة السائلين ، فأجب دعائي ، بخلاف قوله:

بحق فلان ، فإن فلاناً ، وإن كان له حق على الله بوعده الصادق ، فلا مناسبة بين ذلك وبين إجابة دعاء هذا السائل 0
فكأنه يقول: بكون فلان من عبادك الصالحين ، أجب دعائي!
وأي مناسبة في هذا ، وأي ملازمة ؟
وإنما هذا من الاعتداء في الدعاء ، وقد قال تعالى] ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين [[الأعراف: 55] 0
وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة ، ولم ينقل عن النبي - - ولا عن الصحابة ، ولا عن التابعين ، ولا عن أحد من الأئمة -- ، وإنما يوجد مثل هذا في الحروز والهياكل ، التي يكتبها الجهال والطرقية »[2]

وقد بيّن الشاطبي ، أن الدعاء بابه مفتوح ، ولكن يشترط فيه الإخلاص ، وإفراد الله به دون شريك ، فقال : « فالدعاء بابه مفتوح في الأمور الدنيوية والأخروية ، شرعاً مالم يدع بمعصية ، والعبادة إنما القصد بها التوجه

[1] - جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ،تأليف الإمام ابن رجب الحنبلي ، تحقيق فؤاد علي حافظ ، ط1 ، (بيروت : مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ، 1419 هـ ، و: دار المعرفة)، ص 256-257
[2]- شرح العقيدة الطحاوية ، ص 296 - 297

لله وإخلاص العمل له والخضـــــوع بين يديه ، فلا يحتمل الشركة»[1]

وذكر ابن أبي العز أن قول الداعي : « بجاه فلان عندك، أو يقول : نتوسل إليك بأنبيائك ورسـلك وأوليائـك، ومـراده: لأن فلانـاً عنـدك ذو وجاهة وشـرف ومنزلة ، فـأجب دعاءنا ، وهـذا أيضـاً محـذور فإنه لو كـان هـذا التوسل الذي كان الصحابة-ﭫ-، يفعلونه في حياة النبي -ﷺ- لفعلوه بعد موته ، وإنما كانوا يتوسلون في حياته بدعائه ، ويطلبـون منه أن يـدعوا لهم ، وهم يؤمنـون على دعائه 000»[2]

وبيّن أن الإقسام على الله بحق المخلوق محذور أيضاً، فقال : فإن كان مراده الإقسام على الله بحق فلان ، فـذلك محـذور أيضـاً ، لأن الإقســام بـالمخلوق على المخلوق لا يجوز فكيف بالخالق ؟»[3]0

وأما بدعة الدعاء الجماعي ، التي أحدثها الصوفية ، فقد تصدى لها علماء السلف في القرن الثامن الهجـري ، وبينوا أنها بدعة غير مقبولة 0

قال شيخ الإسلام ابن تيميه ، في إجابته عن سؤال : عن هـذا الـذي يفعله النـاس بعد كل صـلاة من الـدعاء الجماعي 0

فأجـاب: «000 وأما دعـاء الإمـام والمـأمومين جميعـاً عقيب الصلاة ، فلم ينقل هذا أحد عن النبي -ﷺ- »[4]

وعد الشاطبي الدعاء بهيئة الاجتماع من البدع [5] ، وقال : « إن الدعـــاء بهيئة الاجتمـاع دائمـاً ، لم يكن من فعل رسول الله -ﷺ- كما لم يكن قوله ولا إقراره »[6]

وقال شيخ الإسلام : « أما دعاء الإمام والمأمومين جميعاً عقيب الصلاة ، فهو بدعة ، لم يكن على عهد النبي -ﷺ- بل إنما كان دعاؤه في صـلب الصـلاة ، فـإن المصـلي يناجي ربه ، فإذا دعا حال مناجاته له كان مناسباً 0

وأما الـــدعاء بعد انصــــرافه من مناجاته وخطابه فغـــير مناسب ، وإنما المسنون عقب الصلاة هو الـذكر المـأثور عن النـــبي -ﷺ- عقب الصـــلاة : لا إله إلا الله ، وحـــده لا

---

1 - الموافقات ، 13/ 150
2 - شرح العقيدة الطحاوية ، ص 299 ، وانظر : الفروع ، 1/ 402
3 - الطحاوية ، ص 297، وانظر: ص 299-300
4 - الفتاوى ، 22/516
5 - انظر: الموافقات ، 3/ 159
6 - الاعتصام ، 1/ 295

شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قــدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[1] 0

وأما موقف علماء السلف ، في القــرن الثـامن الهجــري ، مما أحدثه الصــوفية من أذكــار وأدعية بدعية ، فهو موقف المنكر لهذا الفعل والرافض له ، لأنه لا يستند إلى دليل شرعي يعول عليه 0

فقد رد الشاطبي على اخـتراع الصـوفية لبعض الأدعية والأذكار ، فقال:إن « الـدعاء أيضـاً عبـادة لا يـزاد فيها ولا ينقص ، أعـني الكيفيـات المسـتعملة ، والهيئــات المتكلفة الـتي لم يعهد مثلها فيما تقـدم ، وكـذلك الأدعية التي لا تجد مساقها ، في متقدم الزمـان ولا متـأخره ، ولا مستعمل النبي -- والسـلف الصـالح ، 000وهـذا الموضع مزلة قدم للعوام وكثير من الخواص »[2] 0

ونقل ابن الإمام في رده على من يخترعون الأدعية ، ويبتدعونها، قــول القاضي عيــاض[3] : « إن الله أذن في دعائه ، وعلّم الــدعاء في كتابه لخليفته ، وعلّم النــبي -- الدعاء لأمته ، واجتمعت فيه ثلاثة أشياء ؛ العلم بالتوحيد ، والعلم باللغة ، والنصـيحة للأمة ، فلا ينبغي لأحد أن يعـدل عن دعائه -- ، وقد احتــال الشــيطان للنــاس في هــذا المقــام ، فقيض لهم قــوم ســوء يخــترعون لهم أدعية ، يشتغلون بها عن الاقتداء بـالنبي --، وأشد ما في الحـال أنهم ينسبونها إلى الأنبياء والصالحين»[4]

---

[1] - الفتاوى ، 22/ 520، 523 ، أخرج البخاري في صحيحه كتاب الأذان باب ، باب الذكر بعد الصلاة ، 1/271 ، حديث رقم (844) : «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد »

[2] - الموافقات ، 2/ 446

[3] - عياض بن موسى بن عياض بن عمرو المالكي ، ويعرف بالقاضي عياض ، محــدث حافظ مؤرخ ، ناقد مفسر فقيه ، أصله من الأنـدلس وتحـول جـده إلى فـاس ، ولد في سـنة 496 وتــوفي بمــراكش سـنة 544هــ ، له العديد من المؤلفـات منها : الشـفاء بتعريف حقــوق المصطفى 0 (معجم المؤلفين ، 8/16)

[4] - سلاح المؤمن في الدعاء والذكر تـأليف أبي الفتح محمد بن محمد بن علي ابن الإمـام ، حقق نصوصه وخــرج أحاديثه وقــدم له محي الــدين ديب مســتو ط1 ،(دمشق : دار الكلم الطيب ، 1414هـ) ، ص 22-23

وبيّن ابن أبي العز أن : « الـدعاء من أفضل العبادات ، والعبادات مبناها على السـنة والاتبـاع ، لا على الهوى والابتداع»[5]

وقال ابن الإمام : «000 أنكر الأئمة -- الإعراض عن الأدعية السنية »[2] 0

وقد ذكر الشـاطبي أن جملة ممن ينتمـون إلى طريقة الصـــوفية ، ابتـــدعوا عبـــادات وأدعية وأذكـــار ، يتربصون بها في أوقات مخصوصة ، غير ما وقته الشرع ، وبيّن أن ذلك العمل بدعة ، لأن أصلها غير مشروع [3] 0

وقال شيخ الإسلام : « لا ريب أن الأذكار والدعوات من أفضل العبـــادات ، والعبـــادات مبناها على التوقيف والاتبـــاع ، لا على الهـــوى والابتـــداع ، فالأدعية والأذكـــار النبوية هي أفضل ما يتحراه المتحـري من الـذكر والـدعاء 000وما سواها من الأذكـار قـد يكـون محرمـاً وقد يكـون مكروهاً ، وقد يكـون فيه شـرك ، مما لا يهتـدي إليه أكـثر الناس »[4]

إلى أن قال : « وليس لأحد ، أن يسن للناس نوعاً من الأذكار والأدعية غـير المسـنونة ، ويجعلها عبـادة راتبه 000بل هـذا ابتـداع دين لم يـأذن به الله »[5] ، فالشـرع مبني على الاتباع ، لا على الابتداع 0

---

[5] - شرح العقيدة الطحاوية ، ص 297
[2] - سلاح المؤمن ، ص 22
[3] - انظر: الاعتصام 1/318
[4] - الفتاوى ، 22/ 510 -511
[5] - الفتاوى ، 22/ 511

ويتكون من تمهيد ، ومبحثين **0**

التمهيد وفيـــه: تعريف الغلو ، والـــولي ، لغة واصطلاحاً 0

المبحث الأول : الغلو في الأوليـاء عند الصـوفية 0

المبحث الثــاني : جهــود علمــاء الســلف ، في القرن الثامن الهجـري، تجـاه الغلو في الأوليـاء عند الصوفية 0

التمهيد : تعريف الغلو ، والولي ، لغة واصـطلاحاً 0

أولاً: تعريف الغلو لغة واصطلاحاً 0

I. **الغلو لغة** :

« غَلا غُلُواً ، وغَلاءً : زاد وارتفع ، وغلا : جـاوز الحد ، فهو غالٍ، وغلا فلان في الأمر والـدين : تشـدد فيه وجـاوز الحد وأفرط »[1]

ب- **الغلو اصطلاحاً** :

[1] - المعجم الوسيط 2/660 باب (الغين) ، وانظر : أساس البلاغة ، ص 454 بـاب (الغين)

« تجاوز الحد في اتبـاع الحق »[1] ، و «أن يتجـاوز الحق ويتخطاه، بالإعراض عن الأدلة ، واتباع الشبه »[2] 0

ثانياً: تعريف الولي ، لغة واصطلاحاً :

أ- الولي لغة :

الوَليُّ : « كل من ولي أمراً أو قام به ، والـولي النصـير والمحب »[3]

و« الوَلْـيُ : القرب ، والدنو ، والمطر بعد المطر »[4]

ب- الولي اصطلاحاً :

« سمي الولي ولياً من موالاته للطاعات »[5] ، و« الــولي ضد العــدو، والولاية ضد العــداوة ، وأصل الولاية المحبة والقرب »[6] ، «والولي : خلاف العدو ، وهو مشتق من الــولي ، وهو الــدنو والتقــرب ، فــولي الله هو : من والى الله بموافقته في محبوباته ، والتقرب إليه بمرضـاته »[7]0

المبحث الأول: الغلو في الأولياء عند الصوفية 0

غلى بعض الصوفية في الأولياء غلواً يصل -بعض الأحيان - إلى خلع صفات القدسـية عليهم ؛ بل ومنهم من يصرف بعض العبادات إلى أوليائه من دون الله !!0

---

[1] - تفسير القرآن العظيم ، 2/ 85 ، و المفردات في غريب القرآن ، ص 365

[2] - الكشاف ، 1/ 652

[3] - المعجم الوسيط ، 2/ 1058 ، باب (الواو)

[4] - القاموس المحيط ، 1732 ، باب (الياء)

[5] - الفرقان بين أولياء الـرحمن وأوليـاء الشـيطان لشـيخ الإسـلام ابن تيميه راجعه وفهرسه وقدم له أحمد حمدي إمام ، (جدة : دار المدني للنشر والتوزيع ، 1981م) ، ص 8

[6] - قطر الولي على حديث الولي للإمام الشوكاني ، تحقيق وتقديم د: إبراهيم إبـراهيم هلال ، (مكة المكرمة : توزيع دار الباز للنشر والتوزيع ، 1397هـ 0) ، ص 237

[7] - شرح العقيدة الطحاوية ، ص 509 ، وانظر: ص 505

وقد وصل الحال ببعض الصوفية إلى هذا الحد من الغلو، لاعتقادهم العصمة لشيوخهم ، وأنه لا يجوز الاعتراض عليهم حتى ولو بالقلب ، وإنما يجب طاعتهم طاعة مطلقة وعدم منازعتهم ألبته 0

فهذا القشيري يوصي المريد الصوفي : « أن لا يخالف شيخه في كل ما يشير عليه »[1]

وقال كذلك : « أن لا يكون له بقلبه اعتراض على شيخه »[2] و« من قال لشيخه لِمَ لا يفلح »[3]

وزعموا : « أن مدح الشيوخ من أعظم القربات ، وأقرب الوسائل إلى الوصول ، إذ هم باب الله الأعظم ، ويد الله الآخذة بالداخلين إلى حضرة الله ، فمن مدحهم فقد مدح الله ،]إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله[الفتح : 10 الآية] ، ومن ذمهم فقد ذم الله»[4] 0

وقال القشيري : « اعلم أن من أجل الكرامات التي تكون للأولياء، دوام التوفيق للطاعات ، والعصمة من المعاصي والمخالفات »[5] ، ثم يبيّن أنه : « يجب على المريد أن يتأدب بشيخ ، فإن لم يكن له أستاذ ، لا يفلح أبداً» ،«و من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان »[6] 0

وقد صرف بعض الصوفية ، بعض العبادات ، الخاصة بالله العلي العظيم ، إلى أوليائهم ، ومن هذه العبادات النذر 0

نقل النبهاني : « أن الشيخ العلامة تقي الدين بن الصلاح جمعت المقادير الربانية بينه وبين ، الشيخ علي الكردي، في مكان 0

فقال الشيخ علي : لا بد أن نضيف الشيخ تقي الدين اليوم بشيء بالفقيري ، فما تم كلامه إلا وقد مرّ قطيع غنم ، فقال لبعض أصحابه : قم هات هذا الرأس الذي هو خياره ، لعله يساوي مائة درهم 0

فقال الشيخ تقي الدين في باطنه : هذا امتحان يريد الشيخ علي يطعمني الحرام وأنا لا أكله ، وحصل له هم كبير ، فلما استوى الطعام وهموا بمد السماط ، وهم

---

1 - القشيرية ، ص 381
2 - القشيرية ، ص 381
3 - الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية ، 1/175
4 - إيقاظ الهمم ، ص 272
5 - القشيرية ، ص 356، وانظر : روضة التعريف بالحب الشريف ، 2/ 510
6 - القشيرية ، ص 380

الشيخ تقي الدين بقول غير صالح ، أقبل شخص سائلاً يقول : هل مرّ عليكم راعينا اليوم ؟
فقالوا : ما تريد ؟
قال : كان معه غنمي ، وفيها رأس صفته كيت وكيت ، وهو نذر للشيخ علي الحريري 0
فأجابوه أن نعم قد أخذناه ، وها هو يوضع بين يدي الجماعة سماطاً 0
فقال : الحمد لله الذي أوصله إلى صاحبه ، فنظر الشيخ علي إلى الشيخ تقي الدين ، وقال : ياسيدي وكيف العبد يتهجم على مولاه بما ظنه، فقال الشيخ تقي الدين : استغفر الله تعالى مما خطر لي ، ولم يكن عندي من التدبير ما يطلعني على الحق بوجه»[1] 0

ومن مظاهر غلو الصوفية ، بالأولياء الاستغاثة بهم ، فقد ذكر النبهاني من كرامات ، محمد بن علوي بن أحمد[2] ، إجابته لمن يستغيث به من دون الله ، فقال : « إن بعضهم ضلَّ في الطريق في البرية ، وأيقن بالهلاك ، ثم استغاث به ، ومشى فأحس بمن يقول هذه الطريق فإذا هو بالجادة »[3]

ولم تقتصر استغاثة بعض الصوفية بالأحياء ، بل تعدوا ذلك إلى دعاء الأموات ، والتماس العون والغوث منهم ، عندما يواجهون بعض المصاعب0

فقالوا :« يدعو عند هذه القبور عند نازلة نزلت به أو بالمسلمين[4]، ويتضرع إلى الله تعالى في زوالها وكشفها عنه وعنهم 0 وهذه صفة زيارة القبور عموماً ، فإن كان الميت المزار ممن ترجى بركته ، فيتوسل إلى الله به[5] ، وكذلك يتوسل الزائر بمن يراه الميت ممن ترجى بركته إلى النبي -ﷺ- »[6]

---

1 - جامع كرامات الأولياء ، 2/ 340 - 341
2 - محمد بن علوي بن أحمد ، توفي بمدينة تريم في حضرموت سنة 767 هـ ودفن بقبرة زنبل وقبره معروف 0(جامع كرامات الأولياء 11/238-239)
3 - جامع كرامات الأولياء ، 1/ 238
4 - لم تحل النوازل بالمسلمين إلا من هذه الدعوة وأمثالها ، فهي دعوة إلى الشرك الصريح ، وعبادة غير الله !!
5 - دعوه صريحة للوثنية وعبادة الأصنام ، نسأل الله العافية والسلامة 0
6 - المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسن النيات لأبي عبد الله محمد بن محمد العبدري المعروف بابن الحاج ، ضبطه وصححه وخرج آياته وأحاديثه : توفيق حمدان ، ط1 ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1415هـ) ، 1/ 184

وأضافوا : « تحقق لذوي البصائر والاعتبار ، أن زيارة قبور الصالحين محبوبة لأجل التبرك مع الاعتبار ، فإن بركة الصالحين جارية بعد مماتهم كما كانت في حياتهم ، والدعاء عند قبور الصالحين والتشفع بهم معمول به عند علمائنا المحققين من أئمة الدين 00ولا يعترض على ذلك »[1] ويزعمون زوراً وبهتاناً أن «كل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد مماته ، ويجوز شد الرحال لهذا الغرض »[2]

وهذا علم من أعلام الصوفية يلجأ إلى الأموات ، ويدعوهم ويستغيث بهم ، من دون الله تعالى ، بل ويجاور القبور حتى تحل مشاكلهم 0

قال : «وقد وقعت لي أنا علي بن عثمان الجلابي -الهجويري - واقعة ذات مرة ، وقمت بكثير من المجاهدة على أمل أن تحل تلك الواقعة ، فلم تحل ، وكانت وقد وقعت لي قبل تلك الواقعة من قبل ، فأقمت مجاوراً على قبر الشيخ أبي يزيد - البسطامي - إلى أن حلت»[3]

ونقل النبهاني عن أبي الحسن علي بن صالح المعروف بالكحال[4]:«أن من أصابه رمد وجاء إلى قبره وقرأ شيئاً من القرآن ، وقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، ويحسن ظنه ،ويمسح على عينه من تراب القبر فإنه ينفعه ذلك ، وقد جربه جماعة ووجدوا عليه الشفاء »[5]

ولم يقتصر نفع أولياء الصوفية الأموات على أتباعهم - كما يزعمون زوراً وبهتاناً - بل تعدى ذلك إلى الحيوان ، فما على الوحوش التي تمرض ،إلا زيارة ضريح صوفي فتبرأ0

---

[1] - المدخل ، 1/184

[2] - المدخل ، 1/ـ 185 0 حوت هذه الأقوال أنواعاً وألواناً من البدع والضلال والمنكرات والكذب المحض والتزوير ، الشيء الكثير ، فإنه لم يرد في الشرع ولا عن السلف توخي القبور وزيارتها لأجل الدعاء عندها ، أو دعاء أصحابها ، وإنما شرعت الزيارة للاعتبار والاتعاظ والاستغفار للميت 0 (انظر: المنخل لغربلة خرافات ابن الحاج في المدخل ، تأليف د: محمد بن عبد الرحمن الخميس ، ط1 ، الرياض : دار الصميعي للنشر والتوزيع ، 1416هـ ، ص25)

[3] - كشف المحجوب ، ص 266 ، وانظر : طبقات الشعراني ، 1/ 72

[4] - أبو الحسن علي بن صالح الأندلسي المعروف بالكحال ، قبره في مصر 0[جامع كرامات الأولياء 2/333]

[5] - جامع كرامات الأولياء ، 2/333

ذكر النبهاني عن أبي الحسن[1] أحد أعلام الصوفية : «أن الوحوش كانت تأتي إلى قبره في مصر ، وبها الأوجاع فتبرأ»[2]

وكان التبرك بأولياء الصوفية الأحياء والأموات ، هو المظهر الآخر من مظاهر الغلو فيهم ، فقد أكد الغزالي : أن «زيارة قبور الصالحين مستحبة ، لأجل التبرك »[3]

وقال القشيري : « لم يكن عصر في الحكم الإسلامي ، إلا وفيه شيخ من شيوخ هذه الطائفة ، ممن له علوم التوحيد وإمامة القوم ، إلا وأئمة ذلك الوقت من العلماء ، قد استسلموا لذلك الشيخ وتواضعوا له ، وتبركوا به»[4]

وبيّن النبهاني ولع الصوفية بالتبرك ، بقوله : « 000ثم إن الناس ازدحموا على الشيخ محمد [5] ، يقبلون رأسه ويده ، ويتبركون به ، حتى كادوا يقتتلوا »[6] 0

ومن مظاهر غلو الصوفية في الأولياء ، تفضيلهم الولي على النبي ، فلم يقتصر الصوفية على ما مر ذكره من مظاهر الغلو ، بل تعدوا ذلك، إلى تفضيل الولي على النبي 0

قال البسطامي : « خضت بحراً وقف الأنبياء بساحله»[7]

وقال أبو الغيث بن جميل[8] : « خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله»[9]

---

[1] - أبو الحسن علي بن عبد الله المعروف بمطيب الوحش 0 (جامع كرامات الأولياء 2/338-339)

[2] - جامع كرامات الأولياء ، 2/ 338

[3] - الإحياء ، 4/ 521 ، وانظر: تنوير القلوب ، ص 450

[4] - القشيرية ، ص 378

[5] - هو : أبو عبد الله محمد بن حسن بن مرزوق ، توفي سنة 721 هـ 0(جامع كرامات الأولياء ، 1/ 231)

[6] - جامع كرامات الأولياء ، 1/232

[7] - طبقات الشعراني ، 2/ 16 ، وانظر : لطائف المنن ، ص 185-186

[8] - أبو الغيث بن جميل ، الملقب شمس الشموس ، مات سنة إحدى وخمسين وستمائه ودفن بقرب بيت عطاء باليمن 0[الكواكب الدرية 2/43]

[9] - الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر تأليف عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي ، ط4، (مصر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، 1402هـ) ، 1/124

وقال الجيلي[1] : « 000قال المحمديون من الأوليـــاء000معاشر الأنبيـــاء أوتيتم اللقب ، وأتينا ما لم تؤتوه »[2]

وفضل ابن عربي الولي على النبي ، بتفضيله خاتم الأولياء على خاتم الأنبياء ، وادعى أنه ذلك الولي الخاتم 0

فقال : « وإن كان خاتم الأولياء [3] تابعاً في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع ، فذلك لا يقدح في مقامه ولا يناقض ما ذهبنا إليه ، فإنه من وجه يكون أنزل ، كما أنه من وجه يكون أعلى !! ، وقد ظهر في ظاهر شرعنا ما يؤيد ما ذهبنا إليه في فضل عمر -- في أسارى بدر بالحكم فيهم ، وفي تأبير النخل ، فما يلزم الكامل أن يكون له التقدم في كل شيء ،وفي كل مرتبة »
إلى أن قال : « 000ولما مثّل النبي -- النبوة بالحائط من اللبّن وقد كمل سوى موضع لبنة ، فكان -- تلك اللبنة ، غير أنه -- لا يراها كما قال لبنة واحدة [4] ، وأما خاتم الأولياء فلا بد له من هذه الرؤيا ، فيرى ما مثله رسول الله -- ويرى في الحائط ، موضع لبنتين ، واللبن من ذهب وفضة ، فيرى اللبنتين اللتين تنقص الحائط عنهما ، وتكمل بهما، لبنة ذهب ولبنة فضة ، فلا بد أن يرى نفسه تنطبع في موضع تينك اللبنتين ، فيكون خاتم الأولياء تينك اللبنتين ، فيكمل الحائط »[5]

---

[1] - عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي ، توفي سنة 805، وقيل 855هـ 0 (الفكر الصوفي عند عبد االكريم الجيلي ، تأليف يوسف زيدان ، بيروت : دار النهضة العربية ، 1408هـ ، ص 19) 0

[2] - الإنسان الكامل ، 1/ 124

[3] - يزعم ابن عربي أنه خاتم الأولياء ، كما محمد -- خاتم الأنبياء ، وقد ألف رسالة في هذا الخصوص ، سماها : (عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب) ، ذكر فيها من الكذب والبهتان الشيء الكثير ، ومما ذكره فيها عن ختم الأولياء ، وأنه ذلك الولي الخاتم ، قصيدة مطلعها : حمدت إلهي والمقام عظيم فأبدي سروراً والفؤاد كظيم
ثم قال :
فَرَافِق ربي قد أتاني مخبراً بتعيين ختم الأولياء كريم
وأول من افترى هذه البدعة - بدعة خاتم الأولياء - ، محمد بن علي الحكيم الترمذي 0[انظر: عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب ، لابن عربي ، تحقيق خالد شبل أبو سليمان ، طبعة مكتبة عالم الفكر للطباعة والنشر ، 1418 هـ ، ص 5 ، والفتاوى ، 11/ 444]

[4] - إشارة منه إلى قصر علم الرسول -- ، وعدم صدقه فيما يخبر 0

[5] - فصوص الحكم ، ص 62-63

وأكد رأيه هذا شعراً فقال :

مقــام النبــوة في بـــرزخ   فويق الرســول ودون الولي[1]

وقد فضل ابن عربي نفسه صراحة ، على نبي الله، و كليمه موسى -- بقوله :

ولما أتــاني الــحق ليــلاً مكلمــاً   كفاحــاً وأبــداه لعيــني التواضع
وأرضعني ثدي الوجــود تحققــاً   فما أنا مفطــوم ولا أنــا راضع
ولم أقتل القبطي لكن زجــرته   بعلم فلم تعسر علــيّ المراضع
وماذبح الأبناء من أجل سطوتي   ولا جـاء شــــراً يبطش رافع
فكنت كموســـــىغيرأني رحمــة   بقمي[2]ولم تحـــــرم علىّالمراضع[3]

هذه مكانة رسل الله - عليهم الصلاة والسلام -، وصـــفوة خلقة ، عند بعض الصـــوفية ، يصـــرحون أنهم أفضل من أنبيــاء الله - عليهم الســلام - الــذين اختــارهم لرســــــالاته وحمل وحيه ، فليس وراء ذلك من التنقيص والاســتهانه بهم شــيء ، نعــوذ بالله من أصــحاب هــذه الأقــــوال ، فما تحويه من الباطل والكـــذب والـــتزوير والتجهيل ، من أشد البدع والمنكرات في الدين 0

المبحث الثــاني : جهــود علمــاء الســلف ، في القرن الثـامن الهجـري، تجـاه الغلو في الأوليـاء عند الصوفية 0

---

[1] - - هذا هو اللفظ المشهور للبيت ، ولكن ورد في الفتوحات المكية ، 2/ 249 ، هكذا
بين الولاية والرسالة برزخ   فيه النبوة حكمها لا يجهل
وما ذكرت منقول من طبقات الشعراني ، 2/ 68
[2] - هكــذا طبعت في الأصل ، وربما تكــون صــحتها : (بفمي) لأن الســياق يقتضي ذلك ، والمعنى بها كما هي لا يستقيم0
[3] - عنقاء مغرب ، ص 23

الغلو في الدين محرم شرعاً ، قال تعالى :] قل يا أهل الكتـاب لا تغلو في دينكم غـير الحق000 [[المائـدة : 77]، ومن هذا انطلق علماء السـلف ، في القـرن الثـامن الهجري ، في الرد على الصـوفية ، وغلـوهم في الأوليـاء، وارتكز رد علمـــاء الســـلف ، على نصـــوص الشـــريعة المطهـرة ، وبينـوا أن الرسـول -- قد نهى عن الغلو في الدين ، وتجاوز الحد المشروع 0

فقد استدل ابن رجب بحديث الرسول الكريم -- ، الذي قال فيه: « لا تطروني كما أطرت النصارى المسـيح بن مريم ، إنما أنا عبد الله ورسوله »[1] 0

وبيّن ابن رجب أن رسول الله -- ، كان ينكر على من لا يتأدب معه في الخطاب ، بهـذا الأدب ، فقـال -- : «لا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ، بل قولوا : ما شـاء الله ، ثم شاء محمد »[2] 0

فإن كان الغلو في حق الرسول الكريم ـ ـ محرماً ومنهيـاً عنه ، فمن بـاب أولى أن يكـون أشد تحريمـاً في حق غيره من البشر 0

ولهذا أنكر ابن كثير ، على من يغلو في شيخه ، من الصوفية ، ويزعم أنه شريك لله ، فقال في ترجمة الشيخ عـــدي بن ســـافر[3] ، شـــيخ الطائفة العدوية : « 000 ثم انفـــرد عن النـــاس وتخلى 000، وبـــنى هنـــاك زاوية ، واعتقـده أهل تلك الناحية اعتقـاداً بليغـاً ، حـتى أن منهم من يغلو غلـواً كثـيراً منكـراً ، ومنهم من يجعله إلهـاً أو شريكاً » 0

ثم رد عليهم ، وبيّن موقفه من ذلك الغلو ، فقال : «وهـذا الاعتقـاد فـاحش ، يـؤدي إلى الخـروج من الـدين جملة »[4]

---

[1] - صحيح البخاري كتـاب الأنبيـاء بـاب قوله تعـالى] ياأهل الكتـاب لاتغلـوا في دينكم 000[2/489 حديث رقم 3445 ـ

[2] - أخرجه الإمام أحمد في المسند ، (بيروت : دار صادر) ، 5/ 72 ـ وصححه الألباني في سلسـلة الأحـاديث الصـحيحة ـ ط4 (بـيروت : المكتب الإسـلامي ـ 1405هـ) ـ بـرقم 138 ولفظه : « لا تقولوا: ما شاء الله ـ وما شاء محمد »0 وسنن أبو داود ، كتـاب الأدب بـاب لا يقال خبثت نفسي ، 4/ـ 295حديث رقم 4980 ـ ونصه : « لا تقولوا ما شـاء الله وشـاء فلان ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان »0

[3] - الشيخ عدي بن سافربن إسماعيل بن موسى بن مـروان بن الحسن بن مـروان الهكـاري شـيخ الطائفة العدوية ـ أصـله من البقـاع غـربي دمشق من قرية بيت نا ، ثم دخل بغـداد واجتمع فيها بالشـيخ عبد القـادر ـ مـات سـنة 555 وله من العمر سـبعون سـنة 0[البداية والنهاية 12/757]

[4] - البداية والنهاية ـ 12/757

وشدد الذهبي على أن الطاعة المطلقة ، لا تكون إلا للمعصوم ، وطاعة الصوفية لأوليائهم ، لا تـدخل ضـمن ذلك ، لأن أوليـاءهم ليسـوا بمعصـومين ، فقـال : «ينبغي للمريد أن لا يقـول لأسـتاذه : لِمَ ، إذا علمه معصـوماً ، لا يجوز عليه الخطأ ، أما إذا كان الشيخ غـير معصـوم وكـره قول: لم ؟ ، فإنه لا يفلح أبداً 0

قـال تعـالى:] 000وتعـاونوا على الـبر و التقـوى 000 [المائدة : 2] 0

وقال تعالى] 000وتواصوا بالحق000 [العصر : 3] »[1]

وقد استدل العطار[2]، على حرمة ما يفعله بعض الصوفية ، من مغـالاة بشـيوخهم ، بقـول الإمـام محي الـدين النـووي ، عندما سئل عن السجود الذي يفعله بعض الناس بين يدي المشايخ ونحوهم ، ما حكمه ؟

فأجاب على ذلك بقوله : « هو حرام ، شديد التحريم »[3]

وقال الشاطبي رداً على دعوى الصوفية : « ما عهد بالتجربة من أن الاعــتراض على الكــبراء قــاض بامتنــاع الفائدة ،مبعد بين الشيخ والتلميذ، ولا سـيما عند الصـوفية ، فإنه عندهم الداء الأكبر ، حـتى زعم القشـيري عنهم أن التوبة منه لا تقبل ، والزلة لا تقال »[4]0

وقال ابن كثير ، في ترجمة الشيخ عبد القـادر الجيلي : « كـان فيه تزهد كبـير ، 000ولأتباعه وأصـحابه فيه مقالات ، ويذكرون عنه أقوالاً وأفعـالاً ومكاشـفات ، أكثرها مغالاة »[5] 0

---

1 - السير ، 17 / 251-252، وانظر: السير ، 12/ 93

2 - الشـيخ الإمـام المفـتي المحـدث الصـالح بقية السـلف : علاء الـدين أبو الحسن علي بن الموفق العطار إبراهيم بن الطبيب داود الدمشقي ، الشافعي ، شـيخ دار الحـديث النورية ، ومدرس الغوصية و العلمية ، يلقب بـ " مختصر النـواوي " ، ولد يـوم الفطر سـنة 654 هـ وحفظ القرآن ، وأفتى ودرس وجمع وصنف ، ونسخ الأجزاء ، ودار مع الطلبة وسمع الكثير ، وله محاسن جمة ، وزهد وتعبد وأمر بـالمعروف ، وله أتبـاع ومحبـون ، أصـيب بالفـالج سـنة 701 هـ فكان يمشي بمشقة ، ثم عجز ، وانقطع ، وكتب كثيراً بالشـمال ، تـوفي رحمه الله ، في ذي الحجة سنة 724 هـ 0(ذيل تاريخ الإسلام 281-283 ، والدرر الكامنة ، 3/5) 0

3 - تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محي الـدين ، تصـنيف علاء الـدين علي بن إبـراهيم ابن العطار ، ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه أبو عبيده مشـهور بن حسن آل سـليمان ، ط 1، (الرياض : دار الصميعي للنشر والتوزيع ، 1414هـ 0) ، ص 224

4 - الموافقات 5/399 , 2/497

5 - البداية والنهاية ، 12/768

وذكر الشاطبي ، أن الصوفية كغيرهم من البشر لم تثبت لهم العصمة حتى يطاعوا ، طاعة مطلقة 0

فقـال : « فالصـوفية كغـيرهم ممن لم تثبت له العصـمة ، فيجـوز عليهم الخطأ و النسـيان ، والمعصـية كبيرتها وصغيرتها»[1]

وبيّن أن الغلو في الشيوخ من سمات بعض الصوفية ، فقال: « ومنها - أي من مآخذ أهل البـدع في الاسـتدلال - رأي قوم من التغالي في تعظيم شيوخهم ، حتى ألحقوهم بما لا يسـتحقونه ، فالمقتصد منهم يـزعم أنه لا ولي لله أعظم من فلان ، وربما أغلقـوا بـاب الولاية دون سـائر الأمة إلا على هـذا المـذكور ، وهو باطل محض ، وبدعة فاحشة ؛ لأنه لا يمكن أن يبلغ المتـأخرون أبـداً مبـالغ المتقدمين 000، والمتوسط يزعم أنه مساوٍ للنـبي -ﷺ- ، إلا أنه لا يأتيه الـوحي ، بلغـني هـذا عن طائفة من الغالية في شيوخهم ، الحاملين لطريقتهم في زعمهم ، نظـير ما ادعـاه بعض تلامـذة الحلاج في شـيخهم ، على الاقتصـاد منهم فيه ، والغالي يزعم فيه أشنع من هذا000»[2]

وقال ابن كثير في ترجمة يوسف الأقميني [3]: « ولما مـات هـذا الرجل ، دفن بتربه بسـفح جبل قاسـيون 000 وهي مزخرفة قد اعتنى بها بعض العوام ممن كان يعتقده ، فزخرفها وعمل على قـبره حجـارة منقوشة بالكتابة ، وهذا كله من البدع »[4]

وأما موقف علماء السلف ،في القرن الثامن الهجري، من صرف الصـوفية بعض العبـادات لشـيوخهم ، والاسـتغاثة بهم ، ودعـائهم والتـبرك بهم ، فهو موقف المنكر لهـذه الأفعـال ؛ لأن هـذه الأعمـال من جنس العبـادات ، الـتي لا يجـوز التوجه بها إلا إلى الله العزيز الحكيم0

قال شيخ الإسلام : « وهؤلاء الذين اتخذوا القبور أوثانـاً ، تجـدهم يسـتهزئون بما هو من دين الله وعبادته ، ويعظمون ما اتخذوه من دون الله شفعاء 000ومنهم من يذبح الشاة ويقول : باسم سيدي »[5]

---

1 - الاعتصام ، 1/176
2 - الاعتصام 1/210
3 - يوسف الأقميني ، كان يعرف بالأقميني لأنه كان يسكن قمين حمام نور الـدين الشـهيد ، توفي سنة 657 هـ، ودفن بالسفح 0 (البداية والنهاية 13/254)0
4 - البداية والنهاية 13/254
5 - الاستغاثة في الرد على البكري ، 2/580-581

وقال كذلك : « أما الزيارة البدعية ، فهي التي يقصد بها أن يطلب من الميت الحــــوائج ، أو يطلب منه الــدعاء و الشــفاعة ، أو يقصد الــدعاء عند قــبره ، لظن القاصد أن ذلك أجوب للدعاء ، فالزيارة على هذه الوجوه كلها مبتدعة ، لم يشرعها النبي -- ولا فعلها الصحابة ---لا عند قبر النبي -- ولا عند غيره ، وهي من جنس الشرك ، وأسباب الشرك »[1]

وقد ذكر الشاطبي : « أن الصحابة -- ، بعد موته -- لم يقع من أحد منهم شــيء من ذلك - التــبرك - بالنســبة إلى من خلفه إذ لم يــترك النــبي -- ، بعــده في الأمة أفضل من أبي بكر الصـديق -- ، فهو كـان خليفته ، ولم يفعل به شــيء من ذلك ، ولا عمر -- 000 ولم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف ، أن متبركاً تبرك به على أحد تلك الوجــوه 000 فهو إجمــاع منهم على تــرك تلك الأشياء »[2]

ونقل الشـاطبي أن أصـحاب الحلاج : « بـالغوا في التبرك به ، حتى كانوا يتمسحون ببوله ويتبخرون بعذرته ، حــتى ادعــوا فيه الإلهية ، تعـالى الله عما يقولـون علـواً كبيراً »[3]

وقال ابن كثير عن قبر السيدة نفيسة : «قلت : وإلى الآن قد بــالغ العامة في اعتقــادهم فيها وفي غيرها كثـيراً جداً ، ولا سيما عـوام مصر فـأنهم يطلقـون فيها عبـارات بشيعة مجازفة تؤدي إلى الكفر والشرك ، وألفـاظ كثـيرة ينبغي أن يعرفوا أنها لا تجوز ، 000والذي ينبغي أن يعتقد فيها ما يليق بمثلها من النســاء الصـالحات ، وأصل عبـادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها ، وقد أمر النـبي -- بتسوية القبور وطمسها ، والمغالاة في البشر حــرام ، ومن زعم أنها تفك من الخشب ، أو أنها تنفع وتضر بغـــير مشيئة الله ، فهو مشرك»[4] 0

واستدل ابن مفلح على كراهة السـلف للتـبرك بالأشـخاص بقـول الطيالسي[5] : « 000 عن علي بن عبد الصمد الطيالسي قال : مسحت يدي على أحمد بن حنبل

---

[1] - قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ،تـأليف شـيخ الإسـلام ابن تيميه ، ط3 ، (بـيروت : المكتب الإسلامي ، 1402هـ) ، ص 24
[2] - الاعتصام ، 2/310-311
[3] - الاعتصام ، 2/311
[4] - البداية والنهاية ، 10/703
[5] - الشيخ المحدث الحافظ أبو الحسن علي بن عبد الصمد الطيالسي البغدادي ، توفي في شعبان سنة 289هـ 0 (السير 13/429) 0

، ثم مسحت يدي على بدني وهو ينظر ، فغضب غضباً شديداً وجعل ينفض يده ويقول: عمن أخذتم هذا ؟ وأنكره إنكاراً شديداً »[1]

وقال الشاطبي : « كان مالك يكره المجيء على بيت المقدس ، خيفة أن يتخذ ذلك سنة ، وكان يكره مجيء قبور الشهداء ، ويكره مجيء قباء خوفاً من ذلك ، مع ما جاء من الآثار من الترغيب فيه ولكن لما خاف العلماء عاقبة ذلك تركوه»[2]

وقال ابن عبد الهادي : « فزيارة القبور للدعاء للميت من جنس الصلاة على الجنائز يقصد فيها الدعاء لهم ، ولا يقصد أن يدعو مخلوقاً من دون الله ، ولا يجوز أن تتخذ مساجد ولا تقصد لكون الدعاء عندها أو بها أفضل من الدعاء في المساجد والبيوت، والصلاة على الجنائز أفضل باتفاق المسلمين من الدعاء للموتى عند قبورهم ، وهذا مشروع ؛ بل هو فرض على الكفاية متفق عليه بين المسلمين ، ولو جاء إنسان إلى سرير الميت يدعوه من دون الله ويستغيث به ، كان هذا شركاً محرماً بإجماع المسلمين »[3] 0

وأما موقف علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري ، من تفضيل الصوفية الولي على النبي[4] ، فهو موقف الرافض لهذا الأمر ؛ لأنه ابتداع في الدين 0

قال ابن أبي العز ، شارحاً قول الطحاوي : « ولا نفضل أحداً من الأولياء على الأنبياء - عليهم السلام - ، ونقول : نبي واحد أفضل من جميع الأولياء »[5]

قال ابن أبي العز : « يشير الشيخ -رحمه الله- إلى الرد على الاتحادية ، وجهلة المتصوفة ، وإلا فأهل الاستقامة يوصون بمتابعة العلم، ومتابعة الشرع ، فقد أوجب الله على الخلق كلهم متابعة الرسل - عليهم السلام - قال تعالى:] وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع

---

1 -الآداب الشرعية 2/225 ، والفروع ، 2/143

2 - الاعتصام 1/290 ، وانظر : الموافقات 3/81

3 -الصارم المنكي في الرد على السبكي ، محمد بن أحمد بن عبد الهادي ، ط1 ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1405هـ) ، ص 328 ، وانظر: ص 286

4 - قال التفتازاني " « ولا يبلغ الولي درجة الأنبياء ، لأن الأنبياء معصومون مأمونون عن خوف الخاتمة مكرمون بالوحي ومشاهدة الملك ، مأمورون بتبليغ الأحكام وإرشاد الأنام بعد الاتصاف بكمالات الأولياء ، فما نقل عن بعض الكرامية ، من جواز كون الولي أفضل من النبي ، كفر وضلال »0 [شرح العقائد النسفية ، ص 105]

5 - شرح العقيدة الطحاوية ، ص 743

بإذن الله000[[النسـاء: 64 الآية] ، وقـال تعـالى :] قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم [[آل عمران: 31] 0

وكثير من هـؤلاء يظن ، أنه يصل برياسـته ، واجتهـاده في العبادة وتصفية نفسه ، إلى ما وصل إليه الأنبيـاء من غـير اتبـاع ، ومنهم من يظن أنه قد صـار أفضل من الأنبيـاء !! ومنهم من يقول : إن الأنبياء والرسل ، إنما يأخذون العلم من مشـكاة خـاتم الأوليـاء !! ، ويـدعي لنفسه أنه خـاتم الأوليـاء !! ويكـون ذلك العلم هو حقيقة قـول فرعـون ، وهو أن الوجـــود المشـــهود واجب بنفسه ليس له صـــانع مباين له ، ولكن هـذا يقـول : هو اللـه!! ، وفرعـون أظهر الإنكــار بالكلية ، لكن فرعــون في البــاطن أعــرف بالله منهم ، فإنه كان مثبتاً للصـانع ، وهـؤلاء ظنـوا أن الوجـود المخلوق هو الوجود الخالق ؛ كابن عربي وأمثاله 0

وهو لما رأى أن الشرع الظاهر لا سبيل إلى تغييره ، قال : النبوة ختمت ولكن الولاية لم تختم ! 0

وادعى من الولاية ما هو أعظم من النبوة ، وما يكون للأنبياء والمرسلين ، وأن الأنبيـاء مسـتفيدون منها ، كما قال :

مقــام النبــــوة في بــرزخ فويق الرسـول ودون الولي

وهذا قلب للشريعة ، فإن الولاية ثابتة للمؤمـنين المتقين ، كما قـــال تعـالى :] آلا إن أوليـاء الله لا خـوف عليهم و لا هم يحزنون[[يونس : 62] 0

والنبوة أخص من الولاية ، والرسالة أخص من النبوة »[1]

وقال الذهبي : « قال أحمد السـلمي في « محن الصوفية » : أحمد بن أبي الحـواري ، شـهد عليه قـوم أنه يفضل الأولياء على الأنبياء »[2]

علق الذهبي على هذا بقوله : « إن صحت الحكاية فهـذا من كـذبهم على أحمد ، وهو كـان أعلم بالله من أن يقول ذلك »[3]

ففي دفاع الذهبي عن أحد الصوفية ، دليل قوي على عــدل السـلف ، في أقــوالهم وأفعــالهم وأحكــامهم على المخــالفين ، فهم من أدق النـاس في الأقــوال والأفعــال

[1] - شرح العقيدة الطحاوية ، ص 743-744
[2] - السير ، 12/ 93
[3] - السير ، 12/ 93

والأحكام ، ولهذا نجد الذهبي يكذب هذه الرواية المنسوبة إلى أحد الصــوفية ، ويلتمس له المخــرج منها ، مما يؤكد أن منهج السلف لا يقوم على الهوى و الميل ، أو العداوة والبغضـاء ، أو المجازفة ، فـرحم الله السـلف ما أعـدلهم وأنصفهم 0

وتحدث الشاطبي عن غلو بعض الصـوفية ، في أوليائهم وزعمهم أن الولي هو النبي !

فقال : « حدثني بعض الشيوخ من أهل العدالة والصـدق في النقل[1] ، أنه قــال : أقمت زمانــاً في بعض القرى البادية ، وفيها من هذه الطائفة المشار إليها كثير ، قـال : فخـرجت يومـاً من مـنزلي لبعض شـأني، فـرأيت رجلين منهم قاعـدين ، فتـوهمت أنهما يتحـدثان في بعض فروع طريقتهم ، فقربت منهما على استخفاء لأسـمع من كلامهم - إذ من شـأنهم الاسـتخفاء بأسـرارهم - ، فتحـدثا في شـيخهم وعظم منزلته ، وأنه لا أحد في الـدنيا مثله ، وطربا لهذه المقابلة طرباً عظيماً ، ثم قال أحدهما للآخر: أتحب الحق ؟ هــو النـبي ، قــال : نعم ، هـذا هو الحق ، قـال المخـبر: فقمت من ذلك المكـان فـاراً أن يصـيبني معهم قارعة »[2]

وبيّن شيخ الإسلام أن : « لفظ "خاتم الأولياء " لفظ باطل لا أصل له ، وأول من ذكــره محمد بن علي الحكيم الترمــذي[3] ، وانتحله طائفة كل منهم يــدعي أنه خــاتم الأوليــاء ، كــابن حموية وابن عــربي ، وبعض الشــيوخ الضــالين ، بدمشق وغيرها ، وكل منهم يــدعي أنه أفضل من النـبي -- من بعض الوجـوه إلى غـير ذلك من الكفر والبهتـان ، وقد غلطـوا ، فـإن خـاتم الأنبيـاء ، إنما كـان أفضــلهم للأدلة الدالة على ذلك ، وليس كــذلك خــاتم الأوليـاء ، فـإن أوليـاء هـذه الأمة السـابقون الأولـون من المهاجرين والأنصار»[4] 0

وقال ابن أبي العز : « قال ابن عربي أيضاً في "فصوصه " [5] : ولما مثل النــــبي -- بالحائط من اللبن ،

---

[1] - هذا من أصول منهج السـلف ، إذ إن التثبت من الرواية وعدالة ناقلها ، وصـدقه ، وعـدم رمي الناس بالضنون ، يتبعها صحة الواقعة و صواب الحكم 0

[2] - الاعتصام ، 1/ 210 -211

[3] - محمد بن علي بن الحسن الترمــــذي وكنيته أبو عبد الله ، لقي أبا تـــراب النخشــــبي ، وصحب يحيى الجلاء 0[طبقات الصوفية ص 217 ، والرسالة القشيرية ، ص 400]

[4] - الفتاوى ، 11/ 444

[5] - انظر النص في فصوص الحكم ، ص 63

فرآها قد كملت إلا موضع لبنة فكان هو -ﷺ- موضع اللبنة ، وأما خاتم الأولياء فلا بد له من هذه الرؤيا ، فيرى ما مثّله النبي -ﷺ- ،ويرى نفسه في الحائط في موضع لبنتين !! ويرى نفسه تنطبع في موضع تينك اللبينتين ، فيكمل الحائط ، والسبب الموجب لكونه يراها لبنتين : أن الحائط لبنة من فضة ، ولبنة من ذهب ، واللبنة الفضة هي ظاهره وما يتبعه من الأحكام ، كما هو آخذ عن الله في السر، ما هو في الصورة الظاهرة ، متبع فيه ؛ لأنه يرى الأمر على ما هو عليه ، فلا بد أن يراه هكذا ، وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن !! ، فإنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي إليه الرسول 000»[1]

ثم عقب ابن أبي العز على قول ابن عربي هذا بقوله : «فمن أكفر ممن ضرب لنفسه المثل بلبنة ذهب ، وللرسول -ﷺ- المثل بلبنة فضة ، فيجعل نفسه أعلى و أفضل من الرسول 000 ، وكيف يخفى كفر من هذا كلامه ؟!»[2]

هذا مجمل ردود علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري ، وموقفهم اتجاه غلو بعض الصوفية ، في أوليائهم ومشايخهم ، أسأل الله العون والتوفيق والهداية والرشاد 0

[1] - شرح العقيدة الطحاوية ،ص 744-745
[2] - شرح العقيدة الطحاوية ، ص 745